ستندمون، وتضربون على رؤوسكم، وتعضون أصابع الندم، ولكن لن ينفع الندم**!** فأقبل على كتاب الله، واحفظ آية ترفعك درجة عند الله، احفظ سورة تنجيك يوم القيامة من عذاب الله، أقبل على هذه التجارة الرابحة فها أنت قادم على شهر مبارك وهو شهر رمضان، شهر القرآن، فَهَيِّءْ نفسك من الآن، وتجهز من الآن أن تكون من حفَّاظ كتاب الله، وأن تكون ممن يحفظون كلام الله، ويُحفِّظونه للناس. كما قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(١)].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

١٢٩

٨، ٩، ١٠ ـ طلوع الشمس مِنْ مغربها، خروج الدابة، نار تخرج مِنَ اليمن

في الجمعة الماضية تكلمنا عن العلامة الخامسة والسادسة والسابعة من العلامات الكبرى للساعة.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع العلامة الثامنة والتاسعة والعاشرة.

عباد الله! العلامة الثامنة ألا وهي «**طلوع الشمس من مغربها**»

أمة الإسلام! الإنسان إذا نظر حوله في هذا الكون العظيم وجد فيه الآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية: ٣ ـ ٥].

ومن آياته ﷻ الليل والنهار، والشمس والقمر التي تدل على قدرته ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

ولله ﷻ في هذا الكون سنن لا تتبدل ولا تتغير. ومن هذه السنن الشمس التي تطلع علينا في كل يوم بإذن ربها من المشرق، وتغرب في كل يوم بإذن ربها في المغرب لا تتغير ولا يقدر أحد على تبديل هذه السنن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠]، ولذلك تحدى إبراهيم عليه السلام النمرود عليه لعنة الله، فقال إبراهيم للنمرود: إن الله عز وجل يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عباد الله! آيات وسنن لا تتبدل ولا تتغير، من هذه السنن الشمس التي نراها تطلع علينا كل يوم من المشرق، وتغرب كل يوم في المغرب بإذن ربها، ولكن يا عباد الله في آخر الزمان إذا اقتربت الساعة، وأزفت الآزفة فإن الشمس التي تغرب على الناس في المغرب، إذا اقترب ذلك اليوم فإنها تستأذن ربها لتشرق على الناس من المشرق فلا يأذن الله لها بذلك بل يأمرها أن تطلع على الناس من جهة المغرب، والشمس تقول: سمعنا وأطعنا، فإذا بها تطلع في اليوم الثاني على الناس من جهة المغرب، فإذا رآها الناس آمنوا جميعاً، ولكن في وقت لا ينفع فيه الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ففي هذه الآية توعد الله عز وجل العصاة والمجرمين والكفرة وقال لهم: ماذا تنتظرون؟ أي: ما الذي يمنعكم أيها الكفرة من الإيمان؟ وما الذي يمنعكم أيها العصاة من التوبة؟ ماذا تنتظرون؟ ماذا ينتظر العاصي؟ ماذا ينتظر المجرم؟ هل ينتظرون كما قال ربنا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم؟! أتنتظر أن ينزل بك ملك الموت يقبض روحك لتقول عندها:

آمنت، فيقال لك: كلا؟! تذكر أن التوبة عند الموت لا تقبل، والموت يأتي بغتة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

- فيا أيها العاصِي، ليس لك توبة إذا نمت في فراش الموت، قال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١)، أي: ما لم تصل الروح الحلقوم، فإنك إذا نمت في فراش الموت، وأيقنت أنك خارج من هذه الدنيا وقلت: تبت إليك يا رب فسترد عليك توبتك يا عبد الله فماذا تنتظر؟ تنتظر يوم القيامة يومَ يأتي ربك لحساب الناس! وعندها يندم المفرط، ولكن لا ينفع الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٤]، ماذا تنتظر؟ تنتظر أن يأتي بعض آيات ربك وهي طلوع الشمس من مغربها، وعندها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

عباد الله! إذا طلعت الشمس من مغربها فاعلموا:

أولاً: أن أبواب التوبة قد أُغلت كما سمعتم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ ـ وهي طلوع الشمس من مغربها ـ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ع: (١٠/ ٨١)، هب: (٥/ ٣٩٥) [«ص.ج» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

ثانياً: إذا طلعت الشمس من مغربها فاعلم أنه قد أزفت الآزفة، واعلم أنه قد اقترب الوعد الحق، واعلم أن القيامة قد اقتربت ، كما قال ربنا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، ورسولنا الكريم ﷺ يبيِّن لنا أن بعض هذه الآيات هي طلوع الشمس من مغربها، قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

ثالثاً: إذا طلعت الشمس من مغربها فإن من كان مؤمناً قبل طلوع الشمس يبقى على إيمانه، ومن كان كافراً قبل طلوع الشمس يبقى على كفره، فلا توبة ولا إيمان بعد طلوع الشمس من مغربها.

عباد الله! العلامة التاسعة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي «**الدابة التي تخرج على الناس من الأرض**»

في آخر الزمان وبعد طلوع الشمس من مغربها، وبعد أن عُلِمَ المؤمن من الكافر، فالمؤمن قبل طلوع الشمس يبقى على إيمانه، والكافر قبل طلوع الشمس يبقى على كفره، فلا توبة ولا إيمان بعد طلوع الشمس من مغربها، وإذا بالدابة تخرج على الناس ضحىً بإذن ربها لتميز المؤمن من الكافر، فتمشي هذه الدابة بين الناس تُعَلِّمُ المؤمن في وجهه بعلامة من نور يعرف بها إيمانه، وتضرب الكافر على وجهه بعلامة سوداء يعرف بها كفره، فيعرف المؤمن من الكافر من ظاهره حتى أن الناس في البيت الواحد يجتمعون على طعام واحد فيقول أحدهم: خذ يا مؤمن، ويقول الآخر: خذ يا كافر، ويتبايع الناس في الأسواق فيقول أحدهم: بع يا مؤمن، ويقول الآخر: اشتر يا كافر.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٦٠)، م: (١٥٧).

وخروج هذه الدابة ثابت بالكتاب والسنة.

يقول الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، ويقول ﷺ: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً**» ـ وذكر منها: ـ «**الدابة**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**إنها** ـ أي: الساعة ـ **لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» ـ وذكر منها: ـ «**الدابة**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**تخرج الدابة فتَسِمُ الناس على خراطيمهم**»[(٤)]، أي: فتطبع الناس، وتُعلِّمُ الناسَ على خراطيمهم، فيعرف هذا بالإيمان ويعرف هذا بالكفر.

فيا أمة الإسلام! قد أزفت الآزفة، فهل من توبة إلى الله؟

عباد الله! أما العلامة العاشرة والأخيرة من العلامات الكبرى للساعة فهي: «**نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»

عباد الله! قبل قيام الساعة تخرج نار من قعر عدن من حضرموت من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم إلى أرض الشام، ويكون الناس في هذه الحالة وهم يطردون إلى أرض المحشر، على ثلاث أقسام:

القسم الأول: يحشرون طاعمين كاسين راكبين.

القسم الثاني: قسم يمشون تارة ويركبون أخرى، يتعاقبون على البعير الواحد، الاثنان على بعير، والثلاثة على بعير، والعشرة على بعير.

القسم الثالث: هم بقية الناس حيث تحيط بهم النار من كل جانب وتطردهم إلى أرض المحشر، تَقِيْلُ معهم هذه النار إذا قالوا، وتبيت معهم إذا باتوا، وتصبح معهم إذا أصبحوا، وتمسي معهم إذا أمسوا، ومن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٤١). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٤٧).

(٣) **صحيح**: م: (٢٩٠١).

(٤) **صحيح**: حم: (٥/٢٦٨) [«ص.ج» (٢٩٢٧)].

تخلف منهم أكلته النار، قال ﷺ: «**يُحْشرُ الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»(١).

وهذه النار أخبرنا عنها ﷺ فقال حذيفة رضي الله عنه: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون**»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» ـ فذكرها، ثم قال ـ: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(٢).

وقال ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**» قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»(٣). وأرض الشام هي الأرض التي يكون فيها المحشر، ويكون فيها الحساب والجزاء.

إخوة الإسلام! بهذا نكون قد انتهينا مِن الحديث عن علامات الساعة الكبرى التي تكون قبل قيام الساعة.

والمطلوب منك أيها المسلم أن تبادر بالتوبة والرجوع إلى الله، فأنت إذا ظهرت الشمس غداً من المغرب فتبت ردت عليك التوبة! وكذلك إذا نمت في فراش الموت وأردت أن تتوب ردت عليك التوبة، فما الذي يمنعك يا عبد الله من أن ترجع إلى الله؟ ماذا تنتظر؟ هل تنتظر إلا فقراً منسياً أو غنىً مطغياً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر، فتوبوا إلى الله وارجعوا إلى الله قبل أن تندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٧)، م: (٢٨٦١). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٠١).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٢١٧)، حم: (٢/ ٥٣)، حب: (٧٣٠٥)، ع: (٩/ ٤٠٥)، ش: (٧/ ٤٧١)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٩٦)].

وبعد اكتمال هذه العلامات إذا أراد الله ﷻ فناء هذا العالم، وفناء هذه الدنيا قامت القيامة، وقامت الساعة ليعود الناس إلى ربهم للحساب وللجزاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، فماذا يكون في هذا اليوم من شدة ومن حساب، ومن تطاير للصحف، ومن خزي ومن عار، ومن فرحة للمؤمنين، هذا ما سنبدأُ الحديث عنه ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية في الجمعة القادمة.

اللهم ارزقنا توبة نصوحاً قبل الموت



١٣٠

ماذا يجبُ على العصاة بعد أن تبيَّن لهم أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعدُ الحق؟

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

عباد الله! تكلمنا في الجمع الماضية عن علامات الساعة الصغرى وعن علامات الساعة الكبرى، وتبين لنا بعد أن انتهينا من الحديث عن علامات الساعة أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، واقتربت الساعة.

وتبين لنا بعد الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى أن كثيراً من الناس عن الآخرة غافلون.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

عباد الله! وقبل أن نبدأ في الحديث عن اليوم الآخر، وما فيه من الأهوال العظام، وما فيه من تطاير للصحف، وما فيه من الميزان والحساب، لا بد أن نجيب عن سؤال مهم ألا وهو:

ماذا يجب على العصاة بعد أن تبين لهم أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق؟

الواجب على العصاة أن يبادروا بالتوبة النصوح إلى الله، وأن يرجعوا إلى الله ﷻ قبل فوات الأوان، ولذلك قررنا في هذا اليوم ـ إن

شاء الله تعالى ـ أن نوجه هذا النداء إلى كل العصاة في كل مكان، لعلهم يتوبون إلى الله قبل أن يندموا في وقت لا ينفع فيه الندم، فنقول:

• أيها العصاة، أقلعوا عن المعاصي والذنوب بالتوبة النصوح قبل أن تندموا، فالله ﷻ يغفر الذنوب جميعاً.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٨]. فيقال لكم: كلا.

• أيها العاصي، أقلع عن الذنوب وكفاك معصيةً قبل أن تندم وتقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! والله يا آكل الربا ستقول يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! أيها الزاني ستقول يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! يا أيها العاق لوالديك ستقول يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! يا من أكلت لحوم الأبرياء بلسانك أقصر وإلا ستقول يوم القيامة: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾، أو تقول: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فيقال لك: كلا، قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت، وكنت من الكافرين، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٥٦، ٦٠].

• يا أيها العصاة، أقلعوا عن المعاصي والذنوب قبل أن تغلق أبواب التوبة، وأبواب التوبة يا عباد الله تغلق في وجه التائبين إذا طلعت

الشمس من مغربها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسِيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[١]، **وقال** ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك وحين لَا ينفع نفساً إِيمانها**» ثم قرأ الآية[٢].

● أيها العصاة! توبوا إلى الله قبل أن تغلق أبواب التوبة، وأبواب التوبة تغلق إذا نام العاصي في فراش الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٣]، أي: ما لم تصل الروح الحلقوم.

● أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب طاعة لله ولرسوله، فالله ﷻ أمر بالتوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٣٦٠)، م: (١٥٧). (٣) **حسن**: تقدم تخريجه ص١٠٢.

(٤) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

● يا أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب ليغفر الله لكم، وليبدل سيئاتكم حسنات، فإن الله ﷻ ربط المغفرة بالتوبة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢] ، فتب أيها العاصي ليغفر لك.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

● يا أيها العصاة! توبوا إلى الله لتنتفعوا من دعاء الملائكة، فالملائكة يدعون للتائبين ودعاء الملائكة مستجاب عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

● أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب بالتوبة النصوح فقد آن الأوان، والله لقد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله وماذا تراهم ينتظرون؟ أما حُرمتم المطر من السماء؟! أتنتظرون أن تنزل عليكم حجارة من السماء!؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، أظن يا أمة الإسلام أنه قد آن الأوان لنقلع عن المعاصي، لعل كلٌ منا يظن أن هذا الكلام موجه لغيره أما هو فبريء، وكلنا ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ يبارز الله بالمعاصي وأظن أنه قد آن الأوان للتوبه وإلا ماذا تنتظر؟ لقد حرمنا المطر، ونحن في ضيق المعيشة، وذل ما بعده ذل، الكافر يتكلم وأنت أيها المسلم لا تتكلم، الكافر يأمر وينهى، وأنت لا تتكلم، حتى غدونا غثاء كغثاء السيل ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

يا أيها العصاة! قد آن الأوان للتوبة. يا آكل الربا! قد آن الأوان أن تتوب إلى الله وأن تترك الربا، يا آخذ الرشوة! قد آن الأوان أن تتوب إلى الله وأن تترك الرشوة، يا تارك الصلاة! يا من لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة قد آن الأوان أن تعود إلى الله وأن تأتي إلى كل الصلوات، يا أيها العاق لوالديك قد آن الأوان أن تتوب، ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تنزل عليك الملائكة لقبض روحك! تنتظر أن تطلع الشمس من مغربها؟ تنتظر يوم القيامة للوقوف بين يدي الله لتقول يومها: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] ماذا تنتظر؟ أما آن الأوان؟!.

إن السعيد يا إخوتي هو الذي ينتبه فيتوب قبل الموت، أما الخاسر فهو الذي يُسَوِّفُ في التوبة حتى إذا نزل به ملك الموت قال: إني تبت الآن، فيا أيها العصاة أقلعوا عن المعاصي والذنوب، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

• يا أيها العصاة أقلعوا عن المعاصي والذنوب ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ولا يغرنكم المال، ولا تغرنكم المناصب، ولا تغرنكم التجارات، ولا تغرنكم الصحة، ولا تغرنكم العشائر والقبائل.

• يا أيها العصاة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

• يا أيها العصاة اتقوا ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦].

• يا أيها العصاة اتقوا يوماً يشيب فيه الولدان.

• يا أيها العصاة اتقوا يوماً تقفون فيه أمام الله، وأقلعوا عن المعاصي لعل الله أن يرحمنا.

أمة الإسلام! قد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله، وأن يعودوا إلى الله، فهذا حال المسلمين لا يخفى على أحد، وكل ما نحن فيه إنما هو بسبب ما اقترفناه من المعاصي، وها نحن في هذا الوقت حُرِمنا المطر، وحرمنا الرحمة، حتى ماتت الطيور في أوكارها بسبب معاصينا، وتموت الأطفال والعجائز بسبب معاصينا، فالظلم والمعاصي ظلمات في الدنيا والآخرة.

فيا إخوة الإسلام! كلٌ منا أعلم بمعاصيه، وكلٌ منا يعرف ما اقترف في جنب الله، فلنبادر بالتوبة إلى الله.

ونقول: إن التوبة المقبولة عند الله ﷻ يوم القيامة هي التوبة النصوح، والتوبة النصوح يا أمة الإسلام هي التي تتوفر فيها هذه الشروط. سنذكرها الآن فلعل كثيراً من الناس تراه يأكل الربا ويقول: أستغفر الله، أو تراه يقترف الزنا ويقول: أستغفر الله، أو قد تراه يأكل لحوم الأبرياء ويقول: أستغفر الله، وهو مقيم على المعصية وتلك هي توبة الكذابين.

التوبة المقبولة هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: أن تقلع عن الذنب، أي: على آكل الربا أن يقلع عن الربا، وعلى الزاني أن يقلع عن الزنى وعلى العاق لوالديه أن يقلع عن العقوق، أما أن تستغفر وأنت قائم على الذنب فأنت كالمستهزىء بربه.

الشرط الثاني: أن تندم على فعل المعصية. حاسب نفسك وقل لها: يا نفسي كيف تجرَّأتي على معصية الجبار وأنت تتقلبين في نعم الله بالليل والنهار وتعيشين على أرضه وتحت سمائه؟!.

الشرط الثالث: أن تعزم عزماً أكيداً على أن لا تعود إلى المعاصي مرة ثانية.

الشرط الرابع: أن تتوب قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل أن تصل روحك الحلقوم، هذا إذا كانت معصيتك بينك وبين الله. أما إذا كانت المعصية بينك وبين آدمي كأن تكون ظلمته، أو ضربته، أو اعتديت

على عرضه وماله وأولاده، فعليك بهذه الشروط وأن تزيد شرطاً خامساً عليها.

والشرط الخامس: هو أن تستحل منه قبل يوم القيامة، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، بأن تذهب إليه وتطلب منه السماح على ما اقترفت من ذنبٍ في حقه فإن استطعت إلى ذلك سبيلاً فافعل، وإن عجزت عن ذلك لضرر محقَّقٍ يصيبك إن فعلت ذلك فعليك أن تدعو له بظهر الغيب حتى إذا وقفت بين يدي الله يوم القيامة، فإن الله ﷻ يُرَضِّي عنك هذا الذي وقعت في ظلمه.

يا أخا الإسلام! التوبةَ قبل فوات الأوان، التوبةَ قبل أن تقف بين يدي الله للحساب وللجزاء، وإِلَّا ستندم وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي، وتقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. إنك أيها العاصي في هذه الدنيا اليوم وتستطيع أن تتوب إلى الله أما إذا نزل بك ملك الموت أو طلعت الشمس من مغربها فستغلق في وجهك أبواب التوبة وعندها ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





مشاهد يوم القيامة

المشهد الأول: النفخة الأولى في الصور

عباد الله! **أولاً**: أحمد الله ﷻ أن جمعني بكم مرة ثانية في هذا المسجد على العقيدة والتوحيد بعد رجوعي مِنْ أداءِ العمرة.

وأسأله سبحانه وتعالى في علاه أن يجمع بيننا في الآخرة في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ثانياً: نعود بكم مرة ثانية للحديث عن العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! قلنا في الجمع الماضية: إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة، والإيمان بهذا اليوم ركن من أركان الإيمان. من كفر بهذا اليوم فهو كافر بالله وقد ضل ضلالاً بعيداً. وقلنا أيضاً في الجمع الماضية: إن موعد الساعة غيب لا يعلمه إلا الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقلنا أيضاً يا عباد الله: إن الله ﷻ من رحمته بعباده جعل للساعة علامات تدل على اقترابها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها، وقد تكلمنا عن علامات الساعة الصغرى، وعلامات الساعة الكبرى، وتبين لنا عباد الله أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق. وقلنا يجب على العاصي أن يبادر بالتوبة، والرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، وقبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية**

الحديث عن مشاهد اليوم الآخر، وما يكون فيه من أهوال عظام، وحساب وجزاء، ونتحدث في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ عن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «النفخة الأولى في الصور».

عباد الله! اعلموا أن الساعة ستكون في يوم الجمعة، أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**»(١).

● واعلموا عباد الله أن الصور الذي ينفخ فيه هو قرن كبير.

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: ما الصور؟ قال: «**الصور قرن ينفخ فيه**»(٢).

وهذا الصور جاء ذكره كثيراً في كتاب ربنا، وفي سنة نبينا ﷺ فعلى سبيل المثال: يقول الله ﷻ: ﴿**وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ**﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال ﷺ في الحديث الطويل: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً**»(٣)، أي: أمالَ صفحة عنقه ليسمع هذا الصوت.

والذي ينفخ في هذا الصور هو إسرافيل عليه السلام بإذن من ربه سبحانه وتعالى، وإسرافيل عليه السلام قد أخذ وضع الاستعداد لتلقي الأمر من الله ﷻ بالنفخ في هذا الصور، والذي أخبرنا بذلك هو رسول الله ﷺ فقال: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يُؤْمر**»(٤) أي: فينفخ؟!.

---

(١) **صحيح**: م: (٨٥٤).

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٤٢)، ت: (٢٤٣٠)، حم: (٢/ ١٦٢)، مي: (٢٧٩٨)، حب: (٧٣١٢)، ك: (٢/ ٥٥٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٦٨)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٩٤٠).

(٤) **صحيح**: ت: (٣٢٤٣)، حم: (٣/ ٧٣)، حب: (٨٢٣)، ك: (٤/ ٦٠٣)، طس: (٢/ ٢٨٦)، ش: (٦/ ٧٦)، [«س.ص» (١٠٧٩)].

فيا معشر العصاة! هذا رسولنا الكريم ﷺ يقول: كيف أنعم بهذه الدنيا وصاحب الصور ـ وهو إسرافيل ـ قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يُؤْمر أن ينفخ فينفخ، فما بالكم أنتم؟!

عباد الله! ويُنْفَخ في الصور مرتين:

النفخة الأولى هي: نفخة الفزع والصعق والموت.

والنفخة الثانية هي: نفخة البعث والنشور وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

● وقد سمى الله ﷻ النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وأخبرنا ﷺ أن «**ما بين النفختين أربعون**»(١) أربعون يوماً؟ لا ندري، أربعون شهراً؟ لا ندري، أربعون سنة؟ لا ندري.

عباد الله! إذا أراد الله ﷻ فناء هذا الكون، وذهاب هذه الدنيا أرسل ريحاً طيبة لقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

يقول ﷺ: «**إن الله ﷻ يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبةٍ من إيمان إلا قبضته**»(٢)، فلا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»(٣)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»(٤)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥). (٢) **صحيح**: م: (١١٧).
(٣) **صحيح**: م: (١٩٢٤). (٤) **صحيح**: م: (١٤٨).

لكع ابن لكع»[1] أي: الأحمق اللئيم الوسخ.

عباد الله! على هؤلاء تقوم الساعة، فاحمدوا الله أن جعلكم من المسلمين والمؤمنين.

إخوة الإسلام! على شرار الخلق تقوم الساعة وأهوال القيامة، فبينما الناس في أسواقهم وأعمالهم إذ تأتيهم الساعة بغتة، كما قال رب العزة: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فبينما الناس في أسواقهم وأعمالهم: هذان رجلان يتبايعان، وهذا رجل يرفع لقمته إلى فيه، وهذا الآخر قد حلب ناقته ورجع بلبنها، فإذا نفخ في الصور فلا يتبايع المتبايعان، ولا يأكل الآكل، ولا يشرب الحالب.

إخوة الإسلام! فإذا جاءت تلك اللحظة التي لا يعلمها إلا الله أمر الله ﷻ إسرافيل أن ينفخ في الصور، فإذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة أتدرون يا عباد الله ماذا يحدث عندها في هذا الكون؟.

اسمعوا ما يقول رب العزة سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ١٦].

ابن آدم! تصور هذا المسجد وقد حُمِلَ ودُكَّ في الأرض، ما هو الصوت الذي ستسمعه؟ أظن أنه صوت شديد، فتصور يا عبد الله أن هذه الأرض وما فيها من الجبال الراسيات حملت فدكت دكة واحدة فكيف سيكون هذا الصوت؟ أي فزع سيكون؟.

ويقول رب العزة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ١ ـ ٦].

نفخة واحدة تدمر هذا الكون، انظروا إلى هذا الكون، انظروا إلى

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٢٠٩)، حم: (٥/ ٣٨٩)، طس: (١/ ١٩٧)، [«ص.ج» (٧٤٣١)].

السماء، انظروا إلى الشمس، انظروا إلى النجوم، انظروا إلى البحار، إنه خلق متين خلقه الله، نعم خلق الله هذا الكون لهذا الإنسان، وخلق هذا الإنسان لعبادة الله ﷻ، فإذا أبى هذا الإنسان إلا الكفر هدم الله هذا الكون.

ابن آدم! انظر إلى هذه السماء وتخيل إذا نفخ في الصور ماذا سيحدث بها؟!

يقول رب العزة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]. تصور يا ابن آدم أن سقف هذا المسجد تَصَدَّعَ علينا الآن وخرَّ على رؤوسنا، أي هول وأي فزع ينزل بنا؟ إنه لهولٌ عظيم، وفزع شديدٌ، ولكن تصور أن الذي يتفطر هو السماء هذا الخلق العظيم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ [التكوير: ١١].

- انظر إلى هذه الشمس وتخيل ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير: ١] وأُلْقيت في البحر فيتأجج ناراً.
- انظر إلى النجوم: وتخيل أنها انكدرت وتبدلت بعد ضيائها، وانتثرت وتساقطت في كل مكان.
- انظر إلى الجبال: وتخيل كيف ينسفها ربي نسفاً.
- انظر إلى الجبال: فأنت تحسبها جامدة، ولكنها تمر مر السحاب.

إنه يوم عظيم، إنه يوم خطير، إنه يوم شديد.

ابن آدم! أيها المغرور بالدنيا! أيها المغرور بالمعاصي!

مثِّلْ لنفسِك أيُّها المغرورُ ... يومَ القيامةِ والسماءُ تمورُ
إذا كورتْ شمسُ النهارِ وأدنيتْ ... حتى على رأسِ العبادِ تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ ... وتبدلتْ بعدَ الضياءِ كدورُ
وإذا البحارُ تفجرتْ منْ خوفِهَا ... ورأيتَها مثلَ الجحيم تفورُ
وإذا الجبالُ تقلعتْ بأصولِهَا ... فرأيتَها مثلَ السحابِ تَسيرُ
وإذا العشارُ تعطلتْ وتخربتْ ... خَلَت الديارُ فما بها معمورُ
وإذا الوحوشُ لدى القيامة أُحشرتْ ... وتقولُ للأملاكِ أينَ نسيرُ؟!

ابن آدم! إذا نفخ في الصور نفخة واحدة صُعِقَ من في السماوات ومن في الأرض إلَّا مَنْ شاء الله.

ولذلك يقول رب العزة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

إذا نفخ في الصور نفخة واحدة دُمر كل شيء، وقُضي على كل شيء، ومات الناس جميعاً، لذلك يجب على العاقل أن يتجهز لأهوال هذا اليوم بالتقوى والعمل الصالح استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

على كل عاقل أن يحاسب نفسه، ماذا قدم لهذا اليوم؟ وبماذا تجهز لهذا اليوم؟ فهو قريب وكل ما هو آت قريب.

فأسأل نفسك يا ابن آدم: ماذا قدمت لهذا اليوم؟ وماذا عملت لهذا اليوم؟ فالله ﷻ قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وهذا اليوم قريب قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧].

إخوة الإسلام! لكن الناظر إلى كثير من المسلمين اليوم يجد أنهم عن هذا اليوم غافلون، وأنهم لا يفكرون في هذا اليوم ولا يستعدون له بل إنهم في غيهم يعمهون! بل إنهم يلعبون! بل إنهم يجمعون المال ولا يريدون إلا المال! فأولئك سيخرجون من هذه الدنيا على أسوأ حال.

وقد صدق فيهم قول القائل:

أمَا واللهِ لو عَلِمَ الأنامُ ... لم خلقوا لَمَا هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأتْهُ ... عيونُ قلوبِهِمْ تاهُوا وهامُوا
مماتٌ ثمَّ قبرٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأَهوالٌ عظامُ
ليومِ الحشرِ قد عملتْ رجالٌ ... فصلوا منْ مخافتِهِ وصاموا
ونحنُ إذا أمرنا أو نهينا ... كأهلِ الكهفِ أيقاظٌ نيامُ

يا أيها العاقل! انتبه، يا أيها الإنسان! استيقظ؛ فقد آن الأوان، لا تؤجل التوبة إلى الغد؛ فالموت يأتي بغتة، والساعة تأتي بغتةً فقد جاء أشراطها.

عباد الله! أتدرون ماذا يحدث بعد النفخة الأولى بعد أن مات الناس جميعاً؟

يترك الله ﷻ الناس موتى أربعين، روى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم يُنزِل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**»[1]، أي: أنه لا يدري، إذاً فالله ﷻ يترك الناس موتى أربعين، ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل مرة ثانية، ويأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فإذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية خرج الناس من قبورهم لرب العالمين.

كيف يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين؟ وكيف يُحْشَرُ الناس من قبورهم لرب العالمين؟ وما هي الأهوال والشدائد في هذا اليوم العظيم؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الثاني: النفخة الثانية في الصور

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة «**ألا وهو النفخة الأولى في الصور**»، وهي نفخة الصعق والإماتة.

وقلنا: إنه على إثر هذه النفخة ينهدم هذا الكون، وتموت الخلائق جميعاً، وينفرد الله ﷻ بملكه كما كان قبل أن يخلق الخلق. ﴿**وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ**﴾ [الأنعام: ٧٣].

فينادي ربنا جل وعلا بعد هلاك الخلائق ﴿**لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ**﴾ [غافر: ١٦]، من يجيب وقد هلك الجميع؟ من يرد وقد مات الجميع؟ ﴿**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿**لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ**﴾ فلا يجيب أحد، ﴿**لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ**﴾ لا يجيب أحد، ﴿**لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ**﴾ لا يجيب أحد، فينادي ربنا جل وعلا ويجيب نفسه: ﴿**لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ**﴾، الواحد في ربوبيته، الواحد في ألوهيته، الواحد في أسمائه وصفاته، القهار: الذي قهر الخلائق بالموت، وقال ﷺ: «**يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك: أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟**»[(١)]، لا مَلِكَ إلا الله، ولا مالك إلا الله، وكل ما سوى الله عبد مربوب لله. ﴿**وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**

(١) **صحيح**: م: (٢٧٨٨).

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

عباد الله! **حديثنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ عن المشهد الثاني من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «النفخة الثانية في الصور».**

وهي نفخة البعث والنشور والقيام من القبور لرب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذه هي النفخة الثانية.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ ـ فهذه النفخة الأولى ـ ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ ـ وهذه النفخة الثانية ـ [النازعات: ٦، ٧].

قلنا: إن ما بين النفخة الأولى والنفخة الثانية أربعون كما أخبر بذلك ﷺ فقال: «**ما بين النفختين أربعون**»[(١)].

فإذا مضت الأربعون أنزل الله ﷻ ماءً على هذه الأرض فتنبت الأجساد في بطن الأرض كما ينبت البقل، فإن الإنسان إذا دفن في هذه الأرض يبلى إلا عَجْبُ الذنب وهي عظمة صغيرة، فتكون هذه بمثابة البذرة لهذا الإنسان منها خلق وفيه يركب يوم القيامة، فإذا نزل الماء من السماء على الأرض نبتت الأجساد في بطن الأرض كما ينبت البقل[(٢)].

فإذا تكاملت الأجساد في بطن الأرض أحيا الله إسرافيل عليه السلام وأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فإذا نفخ إسرافيل في الصور تطايرت الأرواح من مخازنها؛ أرواح المتقين من عليين، وأرواح المجرمين من سجين في أسفل سافلين، إلى الأجساد التي نبتت ونمت في الأرض فتعود كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره في الدنيا لا تخطىء روحٌ جسدها أبداً، إنه أمر الذي يقول للشيء كن فيكون.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٦٥١)، م: (٢٩٥٥)، انظر الحديث بتمامه.

عباد الله! إذا عادت الأرواح إلى الأجساد في الأرض، بدأت الأرض تنشق عن الناس ليخرجوا منها لرب العالمين، وأول من تنشق عنه الأرض هو رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «**أنا أول مَنْ تنشقُ عنه الأرض**»(١).

عباد الله! الأرض التي نعيش عليها وتحملنا على ظهرها أحياءً، ثم تحملنا في بطنها أمواتاً كما قال ربنا جل وعلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]. إذا جاء يوم القيامة، ونفخ إسرافيل في الصور أَذِن الله لهذه الأرض أن تسلم الأمانات التي في بطنها فتستجيب الأرض وتُسلم ما في بطنها من الأجساد التي دفنت فيها، وتتخلى عن هذه الأمانة فتُسلم الناس إلى ربها في أرض المحشر قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: ٣ ـ ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٨].

عباد الله! واللهِ إنه منظر عجيب، ومنظر رهيب، البلاييون من البشر منذ أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة كل هؤلاء يخرجون من الأرض في لحظة واحدة! فمن من البشر يستطيع أن يصور لنا هذا المنظر؟ من يستطيع أن يصف لنا هذا المنظر؟ البلاييون من البشر في لحظة واحدة يخرجون من قبورهم لرب العالمين!

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢].

مَنْ مِن البشر يستطيع ولو بقلمه أن يصف هذا المنظر؟.

---

(١) **صحيح لغيره**: د: (٤٦٧٣)، ت: (٣١٤٨)، حم: (٢/ ٥٤٠)، حب: (٦٢٤٢)، طب: (١٢/ ١٦٦)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٤٣)].

مَنْ مِن الفصحاء يستطيع بلسانه أن يصف لنا هذا المنظر؟.

أظن يا عباد الله أنه لا يقدر على وصف هذا المنظر إلا الله ﷻ.

ولذلك تعالوا بنا إلى كتاب ربنا لنستمع إلى الآيات القرآنية التي يصف فيها ربنا جل وعلا الناس وهم يخرجون من قبورهم لرب العالمين.

يقول الله ﷻ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ ـ أي: من القبور ـ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٢ ـ ٤٤].

هذا هو اليوم الذي نذكركم به يا عباد الله، ومع ذلك يُصر العاصي على معصيته، ليقال له يوم القيامة: هذا هو اليوم الذي كنت توعد يا ابن آدم!

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾أي من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٦ ـ ٨]، هذا يوم صعب، ويقول رب العزة: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٤]، ويقول رب العزة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ﴾ [لقمان: ٢٨]. فتخيل معي وقد خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون: هذا يوم عسر.

عباد الله! إذا خرج الناس من القبور فإن الكفار والمجرمين ترهقهم ذلة ويقولون: هذا يوم عسر، يقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟.

• أما المؤمن إذا خرج من قبره قال: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، المؤمنون إذا خرجوا من قبورهم قالوا: هذا هو يوم البعث، قالوا: هذا هو يوم القيامة، هذا هو يوم الجزاء، وقالوا: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

عباد الله! خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر فبأي لباس تراهم يخرجون؟

ابن آدم! يا أيها المتزين بلباسك في الدنيا، انظر بماذا تخرج من قبرك يوم القيامة؟! يقول ﷺ: «**يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً**»(١).

ابن آدم! يا أيها الغني، يا من تتفنن في اللباس، وتتزين به ونسيت قلبك الأسود، تزينْ بلباس التقوى فهو خيرٌ لك؛ فلسوف تخرج يوم القيامة أيها الغني كيوم ولدتك أمك ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يقول ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» فقالت عائشة: يا رسول الله، النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

إن الأمر خطير، إن الموقف رهيب، تخيل معي وأنت في هذه الدنيا يا عبد الله أنك دخلت بيتاً قد اشتعل ناراً فيه من الأطفال والرجال والنساء، وبدأت النار تحرق من في هذا البيت، فدخلت أنت تنقذ من في هذا البيت، فرأيت أطفالاً يحترقون، ونساءً يمتن، ورجالاً يصرخون، فبالله عليك في هذا الوقت إذا رأيت امرأة عريانة أتنظر إليها! الجواب: والله لا، فهذا موقف شديد فما بالنا بالموقف يوم القيامة؟! نعم والله إنه لشديد، فيومها ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]، كل يقول: نفسي، نفسي، اللهم أسألك نفسي لا أسألك غيرها.

● في هذا اليوم لا يعرف الوالد ولده، ولا المولود يعرف والده: قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧١)، م: (٢٨٦٠). (٢) **صحيح**: خ: (٦١٦٢)، م: (٢٨٥٩).

• في هذا اليوم لا تعرف الأم ولدها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

• في هذا اليوم يشيب الولدان، يقول ربنا ﷻ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾ [المزمل: ١٧]، ويقول ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[1]، نعم الأمر أشد من أن يعرف بعضهم بعضاً.

إخوة الإسلام! إذا خرج الناس من قبورهم كيف يذهبون من قبورهم إلى أرض المحشر؟ اعلموا أن أرض المحشر هي أرض جديدة، بيضاء، نقية، لم يعصِ عليها أحدٌ ربه، خلقها الله يوم القيامة ليحاسب عليها الخلائق، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

• ثم إن المؤمنين إذا خرجوا من قبورهم يا عباد الله ـ ونسأل الله أن نكون منهم ـ تلقتهم الملائكة بالبشرى، فأنت أيها المؤمن عندما تخرج من قبرك، وتنفض التراب من على رأسك تتلقاك الملائكة وتقول لك أبشر ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. تقول لك: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، وتأتي الملائكة بركائب من دواب الآخرة، عليها سُرجٌ من ذهب تتلقى المؤمن من قبره ليركب على هذه الدابة ليأتي عليها من قبره إلى أرض المحشر. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥].

بالله عليكم إذا جاء وفد ليزور أحداً ذا منصب وذا مال من أهل الدنيا كيف يكون استقبال ذي المنصب والمال لوفده هذا؟ لا شك أنه سيكون استقبالاً جيداً حافلاً يتناسب مع وضعه، ومع منصبه، ومع غناه،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٥٩).

فما بالنا بوفد الرحمٰن يوم القيامة إذا جاءوا من قبورهم لرب العالمين، إنهم يأتون من قبورهم على ركائب إلى أرض المحشر على أحسن حال، تصحبهم الملائكة تقول لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، تقول لهم: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

● أما المجرمون والكفار يا عباد الله فإنهم إذا خرجوا من قبورهم أتوا إلى أرض المحشر على وجوههم، يمشون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال رجل: يا رسول الله؟ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**»[١].

عباد الله! إذا وصل الناس جميعاً إلى أرض المحشر، وهم عددٌ كبير، من رجالٍ ونساءٍ، أطفالٍ وحتى الدواب، والوحوش، والجن، كل أولئك في أرض المحشر، والملائكة يحيطون بالموقف من كل جانب حتى إذا أراد إنسان أن يفر وجد الملائكة قد وقفوا في وجهه يضربونه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢].

زحام شديد، في أرض المحشر فلا يكاد الإنسان أن يجد إلَّا موضعَ قدميه فقط، فلا يجد مكاناً يجلس فيه، ولا يجد مكاناً يستريح فيه، يقف على قدميه، والأقدام حافية، والأجساد عارية، والأبصار خاشعة، والقلوب واجفة، عرقٌ، زحامٌ، وفوق ذلك كله يُؤتى بالشمس وحرها فتدنو من رؤوس الخلائق.

إذا كورت شمس النهار وأدنيت — حتى على رأس العباد تسير

يقول ﷺ: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتىٰ تكون منهم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٨)، م: (٢٨٠٦).

كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق»[١].

ابن آدم! عندها سيكون الناس في العرق ـ إذا دنت منهم الشمس ـ بقدر أعمالهم، حتى قال ﷺ: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»**[٢].

يقول ﷺ: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه**[٣].

عباد الله! هذا الموقف عند الله عظيم قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فلا تنسوا يا عباد الله هذا اليوم.

عباد الله! الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، الحر شديد، والزحام شديد، أجسادهم عارية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، أقدامهم حافية، كلٌ ينظر ولا يدري إلى أين يذهب، كرب شديد، ومع ذلك كله ومع هذا الحر وهذا الغم وهذا الكرب يؤتى بجهنم يومئذٍ ليزدادوا كرباً على كربهم، وغماً على غمهم، وشدة على شدتهم، وحراً على حرهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

ابن آدم! لن ينفع الندم يوم القيامة! فتنبه وتذكر اليوم، لمن تطبل؟ ولمن ترقص؟ وبماذا تحتفل؟ وعلى أي شيء تسهر الليالي الحمراء؟ ومن تحب؛ فأنت تحشر مع من تحب؟

عباد الله! استقيموا على طاعة ربكم، وارجعوا إلى الله، قبل أن يقول المفرِّط منكم يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وهناك لا ينفع الندم.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٤).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٦٧).

(٣) **صحيح**: م: (٢٨٦٤).

يقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[(١)]، عذابها أليم، وحرها شديد، وقعرها بعيد، وأهلها لباسهم فيها النار، وطعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، وفراشهم النار، وغطاؤهم النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

عباد الله! فإذا جيء بجهنم، ورآها المجرمون عرفوا أنها ما جاءت إلا لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ ـ أي: أيقنوا ـ ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

إذا جيء بجهنم عرف العاصي والمجرم أنها ما جاءت إلا له فيقال للمجرمين توبيخاً لهم يوم القيامة عندما يؤتى بجهنم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣ ـ ٦٤]. يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤]، يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦].

عباد الله! في يوم القيامة يندم الإنسان، ولكن لا ينفع الندم يقول رب العزة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٤، ٣٥] تتذكر عندها هل صليت؟ أم أنك كنت تأكل الربا؟ هل كُنت تهرول إلى المساجد وإلى دروس العلم أم كنت تهرول إلى السهرات الحمراء والراقصات ودور السينما وأماكن اللهو؟ إلى أين تهرول يا عبد الله؟ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٥ ـ ٤١].

عباد الله! في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).

بقية نخبركم عما سيكون في أرض المحشر ونعرفكم على أحوال الكفار، وعلى أحوال المتقين، وعلى أحوال العصاة من المسلمين، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يثقل موازيننا وأن يستر علينا يوم تبلى السرائر





مشاهد يوم القيامة

المشهد الثالث: حال الأشقياء والسعداء في أرض المحشر

عباد الله! نعود بكم مرة ثانية للحديث عن مشاهد يوم القيامة، في الجمع الماضية قلنا: إن الإيمان باليوم الآخر، وإن الإيمان بالبعث بعد الموت، وإن الإيمان بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين ركن من أركان العقيدة الصحيحة.

عباد الله! وفي الجمعة قبل الماضية تكلمنا عن المشهد الثاني من مشاهد يوم القيامة ألا وهو النفخة الثانية في الصور، وقلنا: إن الله ﷻ إذا أراد أن يبعث الناس من قبورهم للحساب وللجزاء أحيا جل وعلا إسرافيل عليه السلام، وأمره أن ينفخ في الصور، فإذا نفخ إسرافيل في الصور جاءت الأرواح من أماكنها إلى الأجساد التي نبتت في الأرض، ثم يقوم الناس بإذن ربهم من قبورهم لرب العالمين كأنهم جراد منتشر يخرجون من قبورهم حفاةً عراةً غرلاً، وقلنا ـ أيضاً ـ يا عباد الله: إن الناس يحشرون من قبورهم إلى أرض المحشر.

- فالمؤمنون يحشرون ركباناً، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

- وأما المجرمون يا عباد الله فيحشرون من قبورهم إلى أرض المحشر على وجوههم عمياً وبكماً وصماً.

عباد الله! فإذا وصل الناس إلى أرض المحشر، وقاموا هناك قياماً طويلاً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وأجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، الشمس على رؤوسهم، الزحام

شديد، العرق غزير، والهمُّ والغمُّ لا يعلمه إلا الله، فما الذي يحدث بعد ذلك؟.

عباد الله! **موعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثالث من مشاهد يوم القيامة: ألا وهو: «حال الأشقياء في أرض المحشر، وحال السعداء في أرض المحشر».**

عباد الله! تعالوا بنا لننظر في أرض المحشر، في وسط هذا الزحام الشديد حيثُ العرق الغزير، والحر الشديد، في وسط هذا الجوِّ من الهم والكرب ولنتعرف من خلال الكتاب والسنة على حال الأشقياء في أرض المحشر، ولنتعرف على حال السعداء في أرض المحشر ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

تعالوا بنا أولاً لنتعرف على حال الأشقياء، فكأني بهم وقد وقفوا في أرض المحشر عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم، العرق يلجمهم إلجاماً، وفوق ذلك قد جيء بجهنم لتحيط بالكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

عباد الله! انظروا في أرض المحشر إلى أولئك الأشقياء من الكفار والمجرمين، إن رؤوسهم منكسة من الخزي والذل والعار، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧].

انظروا إلى وجوههم، إنها سوداء مظلمة، عليها غبرة، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

عباد الله! انظروا إليهم ماذا يحملون على ظهورهم؟! أتدرون ماذا يحمل الأشقياء على ظهورهم؟ إنهم يحملون أوزارهم، بل يحملون ذنوبهم وذنوب الذين أضلوهم بغير علم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١]. وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

عباد الله! ثم تعالوا لنسألهم: ماذا يريدون في أرض المحشر؟ وماذا يتمنون في أرض المحشر؟ يقول ربنا جل وعلا مخبراً عنهم: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢]، إنهم يتمنون في أرض المحشر أن لو كانوا مسلمين في الدنيا، فاحمدوا الله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة الإيمان. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧]، تمنوا أن لو كانوا مسلمين، تمنوا أن لو كانوا مؤمنين، تمنوا أن لو كانوا قد أطاعوا الرسول في الدنيا.

عباد الله! وتعالوا بنا إلى أولئك الأشقياء لنسألهم: بأي شيء تريدون أن تفدوا أنفسكم من عذاب الله؟ يا معشر المجرمين، يا معشر الأشقياء، يا معشر الكفار ماذا تقدمون فداءً لأنفسكم من عذاب الله يوم القيامة؟ يخبرنا ربنا جل وعلا، عنهم فيقول جل وعلا: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٦].

عباد الله! تصوروا شدة هذا العذاب الذي يجعل الإنسان يقدم ولده فداء لنفسه من هذا العذاب، ومع ذلك يقال له: كلا إنها لظى، إنها النار.

لن يقبل من الذين كفروا فدية ولو افتدى أحدهم بولده وزوجته وأخيه وعشيرته وبكل ما يملك في الدنيا، بل وبملءِ الأرض ذهباً لن يقبل منه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١].

تعالوا واسمعوا ماذا يقولون، على أي شيء يتحسرون؟! اسمعوا إلى حسراتهم فقد سجلها الله لنا في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، يقول الله ﷻ عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]. تعلمون يا عباد الله أن الأشقياء في قبورهم يعذبون، ولكنهم عندما خرجوا من عذاب القبر إلى عذاب يوم القيامة ووجدوا أن عذاب القيامة لا يطاق ظنوا أنهم كانوا في قبورهم راقدين. فمن حسرتهم قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، وقالوا: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، أي: في الساعة، أي: في يوم القيامة، وقالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

عباد الله! هذا هو حالهم ثم بعد هذا العذاب الأليم ينتقلون إلى نار حامية طعامهم فيها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم، ولباسهم فيها النار ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

ابن آدم! أتقدر على تحمل هذا الموقف؟ أيها الإنسان أتتحمل هذا العذاب في أرض المحشر قبل دخول النار؟ أظن أنك ضعيف! أفلا تفر يا ابن آدم إلى الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

عباد الله! ثم تعالوا بنا الآن لنتعرف على حال السعداء، ونسأل الله أن نكون منهم.

• السعداء في أرض المحشر قد بيَّض الله وجوههم، اللهم بيِّض وجوهنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

بل إنهم في أرض المحشر يضحكون في الوقت الذي يبكي فيه الكفار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، وهي وجوه السعداء، فتعالوا عباد الله لنسأل عن طعام السعداء في أرض المحشر؛ فالناس يقومون من قبورهم أشد ما يكونوا عطشاً وجوعاً، فما هو طعام السعداء في أرض المحشر؟.

إن الله ﷻ القادر على كل شيء يحول لهم هذه الأرض خبزةً واحدة يأكلون منها في أرض المحشر يوم القيامة. يقول ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً، يتكفؤها الجبار بيده كما يَكفأُ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة**»(١).

إذن المؤمنون الأتقياء السعداء يأكلون في أرض المحشر فهنيئاً لهم.

ثم أتدرون من أين يشرب أولئك الأتقياء في أرض المحشر؟ إنهم يشربون من حوض رسول الله ﷺ الذي من شرب منه شربة واحدة لا يظمأ بعدها أبداً. يقول ﷺ: «**حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابهُ عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**»(٢).

اللهم اسقنا من يد رسولك شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

عباد الله! واعلموا أن هناك رجال ونفر من هذه الأمة يذهبون في

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٥)، م: (٢٧٩٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٤٤)، هـ: (٤٣٠٣)، حم: (٥/ ٢٧٥)، طس: (١/ ١٢٤)، لس: (٩٩٥)، ك: (٤/ ٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٠٦٠)].

أرض المحشر إلى هذا الحوض ليشربوا منه فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار أتدرون من هم يا عباد الله؟ إنهم أهل البدع والأهواء الذين ابتدعوا في دين الله، يقول ﷺ: «... **وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك...**»[(١)].

إنهم ابتدعوا في الدين، غيَّروا في الدين، صنعوا ديناً يتناسب مع أهوائهم، وذلك كما نرى اليوم: فإن الكثير من الناس لا يعجبه دين محمد بن عبد الله ﷺ، إنهم يريدون دين القرن العشرين! ديناً يتناسب مع أهوائهم، أما أن تقول لهم: ارجعوا إلى ما كان عليه المصطفى ﷺ، فسيقولون لك: أنت متشدد! أنت متزمت! أنت رجعي! تريد أن ترجع بالناس إلى القرون الماضية!!

عباد الله! ثم أتدرون بأي شيء يستظل أولئك الأتقياء يوم القيامة من ذلك الحر الشديد؟ إنهم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله. يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[(٢)].

وتعالوا بنا يا عباد الله لنتعرف على هؤلاء الذين أظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

١ ـ **(إمام عادل)** عدلَ هذا الإمام لأن الله أمره بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠]، عدلَ هذا الإمام لأنه علم أن الله سائلهُ يوم القيامة عما استرعاه، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الله حرم الظلم، قال ربنا ﷻ

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٦١)، م: (٢٨٦٠).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»(١)، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الظلم ظلمات يوم القيامة، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الله يستجيب للمظلوم في ظالمة.

٢ ـ **(وشاب نشأ في عبادة الله)** نشأ في عبادة الله؛ لأنه علم أن الله خلقه لعبادته، وعلم أن الله سائلهُ يوم القيامة عن شبابه فِيمَ أفناه، ولأنه علم أنه إن لم ينشأ في عبادة الله نشأ في عبادة الشيطان.

٣ ـ **(ورجل قلبه معلق بالمساجد)** وهذا علق قلبه بالمسجد؛ لأن المساجد هي بيوت الله في الأرض، ولأن المساجد هي خير بقاع الأرض، فتراه يتردد على المسجد خمس مرات في اليوم والليلة، فهو يحب بيت الله فهل يستوي هذا الذي علق قلبه بالمسجد مع من علق قلبه بالسينما والمفسديون والسهرات الحمراء، هل يستويان مثلاً؟!

٤ ـ **(ورجلان تحابا في الله)** تحابا في الله؛ لأنهما علما أن المحبة في الله تدوم، وأن المحبة لغير الله تنقطع، تحابا في الله؛ لأنهما علما أن المحبة والصداقة تنقلب عداوة يوم القيامة إلا ما كانت لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، تحابا في الله، لأنهما علما أن الله يحب المتحابين فيه، قال ربنا في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ**»(٢) وقال ربنا في الحديث القدسي: «**أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلّي**»(٣).

٥ ـ **(ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله)**، لقد خاف من الزنا لأن الله حرم الزنا، خاف من الزنا لأنه فاحشة وساء

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).
(٢) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٣٣)، حب: (٥٧٥)، ك: (٤/ ١٨٦)، طب: (٢٠/ ٨٠)، هب: (٦/ ٤٨٣)، [«ص.ج» (٤٣٣١)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).

سبيلاً، خاف من الزنا لأن الزنا يسوِّد الوجوه في الدنيا والآخرة، خاف من الزنا لأنه اعتداء على الأعراض، خاف من الزنا لأنه لا يرضى الزنا في أهله.

٦ ـ (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) تصدق هذا الرجل؛ لأن الله أمره بالصدقة والإنفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، تصدق هذا الرجل، لأنه علم أنه سيموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون: ١٠]، تصدق هذا الرجل؛ لأنه علم أن الصدقة والإنفاق سبب لزيادة المال، وعلم أن البخل سبب لذهاب المال، يقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»[1]، ودعاء الملائكة مستجاب.

أنفق هذا الرجل من ماله فأخفى الصدقة، تصدق على الأسر المستورة في ظلمات الليل لا يعلم به أحد؛ لأنه علم أن الرياء يحبط الأعمال.

فبادروا يا معشر المسلمين، يا معشر الأغنياء بالصدقات وأنتم في شهر كريم، في شهر مبارك في شهر الصدقات وتصدقوا بنفس كريمة، واعلموا أنكم ما أنفقتم من شيء إلا وسيخلفه الله عليكم، وسينمي لكم ذلك لتجدونه عنده يوم القيامة، فادخروا لأنفسكم عند الله وتصدقوا على الفقراء، وعلى الأسر المستورة التي لا تَسْأَلُ الناس إلحافاً، وإياكم أن تعطوا الذين يتسولون في الطرقات، أو يقفون على أبواب المساجد؛ فإنهم قد اتخذوا ذلك مهنة، فهم لا همَّ لهم إلا أن يجمعوا مالاً كثيراً، وأما الفقراء والمساكين فهم لا يأتون إلى المساجد، ولا يسألون الناس إلحافاً، فمدوا أيديكم إليهم واذهبوا إلى بيوتهم.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).

٧ ـ **(رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)**، هذا الرجل جلس وحده فتذكر عظمة الله، تذكر قوة الله، تذكر الموت والقبر والقيامة، تذكر وقوفه بين يدي الله، والله ﷻ يقول له: عبدي أتذكر يوم كذا في مكان كذا في ساعة كذا وأنت تعصيني؟ تذكر هذا الرجل هذا الموقف بين يدي الله، تذكر الصراط، تذكر الجنة والنار ففاضت عيناه خوفاً من عذاب الله وطمعاً في جنة الله.

عباد الله! لقد نظرنا في أرض المحشر، وتعرفنا على حال الأشقياء، وعلى حال السعداء، فتبين لنا أن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وتبين لنا أن الله ﷻ لم يسو بين الصالح والطالح، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

فيا إخوة الإسلام! هذا هو طريق السعداء، وذاك هو طريق الأشقياء، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من الفائزين

❁ ❁ ❁



مشاهد يوم القيامة

المشهد الرابع: حال عصاة المسلمين في أرض المحشر

[مانع الزكاة]

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثالث من مشاهد يوم القيامة ألا وهو حال السعداء، وحال الأشقياء في أرض المحشر، وتبين لنا أن الأشقياء من الكفار والمجرمين يكونون يوم القيامة في أسوأ حال، وينتقلون بعد ذلك إلى نار حامية.

• وتبين لنا أن السعداء من الأتقياء والمؤمنين الصادقين يكونون في أرض المحشر يوم القيامة في أسعد حال، ثم ينتقلون من أرض المحشر إلى جنة عرضها السموات والأرض، وقد أخبرنا ربنا جل وعلا بذلك في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ [هود: ١٠٢ ـ ١٠٨].

فيا بني آدم! من شاء منكم فليؤمن، ومن شاء منكم فليكفر.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن المشهد الرابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: (حال العصاة من المسلمين في أرض المحشر).

عباد الله! هناك من المسلمين من يعذب على بعض المعاصي في أرض المحشر، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

فتعالوا بنا عباد الله لننظر في أرض المحشر من خلال الكتاب والسنة إلى أحوال العصاة من المسلمين، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، زحام شديد، عرق غزير، الشمس على الرؤوس. فانظروا معي عباد الله، هذا رجل من عصاة المسلمين يطوقه ثعبان ويأخذه بشدقيه يقول له: أنا كنزك أنا مالك.

- وهذا رجل آخر قد صفحت له صفائح من نار، يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبينهُ وجنبهُ وظهرهُ.

- وهذا رجل ثالث قد انبطح على الأرض، والأغنام والبقر والإبل تطؤهُ حتى إذا مَرَّت كلُّها رُدَّت عليه مَرَّةً أُخرى... وهكذا حالهم حتى يقضي الله في أمره.

أتدرون من هؤلاء يا عباد الله؟ إنهم مانعو الزكاة.

أمة الإسلام! أتدرون من هؤلاء الذين يعذبون في أرض المحشر؟ إنهم مانعو الزكاة من أغنياء المسلمين.

فيا عباد الله! تعالوا بنا لننظر في أرض المحشر إلى عذاب هؤلاء الذين بخلوا بزكاة أموالهم، وحرموا الفقراء والمساكين، تعالوا إلى صاحب الألوف والملايين من الدنانير، وانظروا معي جيداً في أرض المحشر إلى الذي مات وهو يملك الألوف والملايين من الدنانير ولكنه

كان قد بخل بزكاته على الفقراء والمساكين. يقول ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ لهُ ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة بِلهزَمتيه يعني: بشدقيه يقول: أنا مالُك، أنا كنزك، ثم تلا** ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾»(١) [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق هو هذا الثعبان، وهذا الشجاع الأقرع يأخذك أيها الغني الذي حرمت الفقراء والمساكين حقهم، ويعذبك يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد، ثم ينظر في أمرك وسبيلك إما إلى الجنة وإما إلى النار، أتقدرون يا أصحاب الأموال على هذا العذاب في هذا اليوم الشديد الحر والزحام؟!.

عباد الله! تعالوا وانظروا إلى هذا المسكين الآخر الذي كنز الذهب والفضة، إنه جمع ذهباً وفضة ثم بخل بزكاتهما.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

يفسر لنا رسول الله ﷺ ذلك فيقول: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(٢).

عباد الله! إذا نظرنا إلى الآية، وإلى حديث رسول الله ﷺ لم نجد استثناءً لحلي المرأة، ولذلك اختلف العلماء في حلي المرأة، فهناك من قال: لا زكاة في حلي المرأة، وفريق من العلماء قال: فيه زكاة. والذي يتبين أن

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٩).

(٢) **صحيح**: م: (٩٨٧).

الذين قالوا بأن حلي المرأة فيه زكاة معهم الدليل وحجتهم أقوى؛ لأننا لم نر استثناءً لحلي المرأة بل قد جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ تأمر المرأة أن تخرج زكاة حليها إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

فيا إخوة الإسلام! من كان عنده شيء من ذهب أو فضة قد بلغ النصاب وحال عليه الحول فعليه أن يزكيه في كل عام وهذا هو الأحوط، وهذا هو الذي ينجيه من عذاب يوم القيامة، وإلا سَتُحوَّل هذه القطع من الذهب والفضة إلى صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد.

عباد الله! وانظروا إلى هذا الثالث المسكين ـ صاحب الإبل التي لم يخرج زكاتها ـ وهو في أرض المحشر. يقول ﷺ: «**ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقِّها حَلبُها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقرٍ، أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رُدَّ عليه أُخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[1].

● وانظروا إلى صاحب البقر والغنم الذي بخل بزكاتها يقول ﷺ: «**ولا صاحب بقر، ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[2].

أمة الإسلام! الزكاةَ الزكاةَ، إنها ركن الإسلام الثالث.

● الزكاةُ لأهميتها قرنها الله مع الصلاة في كتابه في اثنين وثمانين موضعاً.

---

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر السابق.

• الزكاة لأهميتها حاربَ الصديقُ رضي الله عنه الذين منعوها وفرقوا بينها وبين الصلاة.

معشر الأغنياء، أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة طُهرةٌ للنفس من أمراض الشح والبخل وطُهرةٌ للمال. كما قال رب العزة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

• أخرجوا الزكاة يا معشر الأغنياء، فإن إخراج الزكاة سبب لتمكين المسلمين في الأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

• معشر الأغنياء أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة سبب لنزول الرحمة من الله على العباد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

• معشر الأغنياء أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة سبب لدخول الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

• معشر المسلمين احذروا أن تمنعوا الزكاة فإن منع الزكاة سبب لحياة الضنك في الدنيا، ووالله إن مانع الزكاة يعيش في هذه الدنيا في أسوأ حال فتراه ينتقل دائماً بين المستشفيات بسبب حرمانه الفقراء من زكاة أمواله يقول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

• إياكم أن تمنعوا الزكاة، فإن منع الزكاة سبب لمنع القطر من السماء ولولا البهائم لم تمطروا. يقول صلى الله عليه وسلم: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن...**» ـ وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من

هؤلاء الخمس قال: ـ «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء**»[١].

• احذروا أن تمنعوا الزكاة، فالذي يمنع الزكاة يصاب بمرض النفاق، وإذا أردت أن ترَ منافقاً خالصاً فاجلس مع بخيل بالزكاة لتراه يشتكي الفقر وهو غني، وتراه يشتكي المرض وهو صحيح، إنه يتقلب في حياة الضنك فهو منافقٌ لأنه كذب على الله، ومنع زكاة ماله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٧].

• منع الزكاة سبب للهلاك: يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[٢].

يا أمة الإسلام!

• أخرجوا الزكاة لمستحقيها كما قال رب العزة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠] الآية.

• أخرجوا الزكاة وإياكم أن تتحايلوا على الله في إخراج الزكاة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفكسم فاحذروه.

أخرجوا الزكاة لتفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض، أخرجوا

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، هب: (٣/ ١٩٦)، حل: (٨/ ٣٣٣)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

الزكاة، وإياكم أن تمنعوها وتبخلوا بها على الفقراء والمساكين فالذي يمنع الزكاة يتحسر في دنياه بجمع المال! ويتحسر عند موته بفراق هذا المال، ويعذب يوم القيامة بمنعه لزكاة هذا المال! ويُسْأَلُ بين يدي ربه عن هذا المال من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه!

فيا أخا الإسلام، يا أيها الغني، الموت يأتي بغتة، الموت ينزل بك ويخطفك من هذه الدنيا، وعندها تتمنى أن ترجع بعد الموت لتتصدق ولتخرج هذه الزكاة، ولكن يحال بينك وبين الرجوع.

فيا معشر الأغنياء، يا من جمعتم أموالاً كثيرة، أخرجوا الزكاة، واعلموا أن الله يعلم ما في قلوبكم فإياكم أن تتحايلوا، وإياكم أن تخرجوا شيئاً قليلاً من المال وتظنوا أنكم قد أخرجتم الزكاة، واسألوا أهل العلم إن كنتم لا تعلمون، وأخرجوا الزكاة تامة، واعلموا أن الله ابتلاكم بالغنى لتخرجوا الزكاة كما ابتلي الفقير بالفقر ليصبر.

عباد الله! أما بالنسبة لزكاة الفطر فهي واجبة على كل مسلم يملك قوت يومه وليلته، وتجب على الكبير والصغير، وعلى الذكر والأنثى، وعلى العبد والحر.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب)[٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٤٣٢)، م: (٩٨٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٥)، م: (٩٨٥).

عباد الله! وهذه الزكاة ـ زكاة الفطر ـ الحكمة منها أن تكون طُهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)[١].

أما مقدارها: فصاع من تمر، أو صاع من شعير، أو صاع من زبيب، أو صاع من أقط، أو ما يقوم مقام ذلك كالأرز مثلاً، أو الطحين في بلدنا، فتخرج يا عبد الله عن كل شخص أنت قائم على نفقته (اثنين كيلو) من الأرز أو غيره تقريباً.

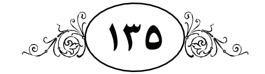
ووقت تأديه هذه الزكاة: أن توصلها إلى الفقراء قبل صلاة العيد فمن أداها قبل صلاة العيد فهي زكاة، ومن أداها بعد صلاة العيد فهي صدقة وليست بزكاة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وأعمالنا

❁ ❁ ❁

---

(١) **حسن**: د: (١٦٠٩)، هـ: (١٨٢٧)، قط: (٢/١٣٨)، ك: (١/٥٦٨)، [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)].



مشاهد يوم القيامة

المشهد الخامس: حال عصاة المسلمين في أرض المحشر [المصور، المتكبر، الغادر، الغالّ من الغنيمة، السارق، العاق لوالديه، الديوث، المرأة المترجلة]

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الرابع من مشاهد يوم القيامة، وتكلمنا عن حال بعض العصاة في أرض المحشر، فتكلمنا عن حال مانع الزكاة، وتبين لنا معشر المسلمين أن مانعي الزكاة يعذبون يوم القيامة بأموالهم التي بخلوا بزكاتها: فهذا ماله قد تحول إلى ثعبان كبير يأخذه بشدقيه يقول له: أنا كنزك، أنا مالك، وهذا رجل آخر تحول ماله إلى صفائح من نار يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره. وهذا رجل آخر جاءت إبله وبقره وغنمه فأخذت تطؤه بأقدامها، وتنطحه بقرونها، وتعضه بأفواهها كل ذلك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم بعد ذلك يرى كل منهم سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الخامس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: (حال بعض العصاة في أرض المحشر).**

أمة الإسلام! لا زال الناس في أرض المحشر، زحام شديد، عرق غزير يلجم بعض الناس إلجاماً، الشمس فوق رؤوس الخلائق، الناس أجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، ومع هذا الحال من الغم والكرب جيء بجهنم فزادت حرهم حراً، وزادت غمهم غماً، وزادت كربهم كرباً.

فيا عباد الله! انظروا معي الآن إلى هذه النار حيث يخرج منها عنق له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يبحث في أرض المحشر عن بعض الناس، أتدرون عَمَّن يبحث يا عباد الله؟ عن المصورين.

يقول ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، بكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»(١)، فيأخذ هذا العنق هذا المصور ويُقال له: أحي ما خلقت، انفخ الروح في هذه الصورة التي صورت وما هو بنافخ، فيُعَذَّبُ في هذا اليوم عذاباً أليماً، يقول ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(٢).

فيا عباد الله! التصوير لذوي الأرواح حرام إلا ما كان لضرورة، ويا من تزينون الجدران بصور لذوات الأرواح هذا عمل لا يجوز. أما إذا تصور الإنسان أو صَوَّر لضرورة فلا حرج في ذلك.

- واعلموا أن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه كلب أو صورة، يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(٣) وقال ﷺ: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»(٤)، فاحذروا عباد الله من جريمة اتخاذ الصور والتماثيل حتى لا تكونوا من هؤلاء العصاة يوم القيامة.

إخوة الإسلام! لا زلنا ننظر في أرض المحشر من خلال الكتاب والسنة إلى بعض عصاة المسلمين، فانظروا معي إلى أرض المحشر لنرىٰ ما هذا النمل الصغير؟ إنه ليس بنملٍ بل إنهم بشر بعثهم الله ﷻ على هذه الصورة من الذل والهوان! سبحانك ربنا ما أعدلك! الجزاء من جنس

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/ ٣٣٦)، هب، (٥/ ١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].
(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٢٦)، [«ص.ج» (٩٩٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٥٣)، م: (٢١٠٦).
(٤) **صحيح**: خ: (١٩٩٩)، م: (٢١٠٧).

العمل، ولا يظلم ربك أحداً، هل تدرون من هؤلاء الذين بعثهم الله يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال؟ إنهم المتكبرون الذين تكبروا على خلق الله، الذين مشوا في الأرض وظنوا أن ما عليها إلا هم، أولئك يبعثون يوم القيامة على هذه الصورة الذليلة، يقول ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال** ـ أي: أمثال النمل الصغير ـ **يغشاهم الذل من كل مكان...**»[١].

سبحانك ربنا! إنهم تكبروا على الناس في الأرض، فانظروا كيف بعثهم الله يوم القيامة في صور الرجال أمثال الذر تطؤهم الأقدام، والذل يغشاهم من كل مكان.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بمالك فاعتبر بقارون.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بما عندك مِنْ عقارات ومزارع فاعتبر بصاحب الجنتين.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بوزارتك ومنصبك فاعتبر بفرعون وهامان.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بصحتك وقوتك فاعتبر بقوم عاد.

الكِبر جريمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، وفي حق البشر، ولذلك يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[٢].

عباد الله! لا زلنا ننظر في أرض المحشر إلى بعض العصاة، انظروا معي إلى هؤلاء البشر، انظروا معي إلى هذا الفريق من الناس لقد رفع الله لكل منهم لواءً عند إسته، أي علماً مرتفعاً ظاهراً مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان، فليحذر الذي يغدر! وليحذر الذي يخون العهد! فهذا

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/ ١٧٩)، خد: (٥٥٧) [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).

الغادر يبعث يوم القيامة كيوم ولدته أمه عند استه من الخلف علمٌ ظاهرٌ مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان، إنها الفضيحة يوم تبلى السرائر، هذا رجل غدر بزوجته، وهذه امرأة غدرت بزوجها، وهذا رجل غدر بصديقه، وهذا راعٍ غدر برعيته، يُرفع لكل منهم لواءٌ يوم القيامة مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان.

يقول ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»[(١)]، أين يكون هذا اللواء؟ أين يعلق؟ عند أستك يا ابن آدم، يقول ﷺ: «**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة**»[(٢)]، فاحذروا الغدر فإنه من شيم المنافقين.

يقول ﷺ: «**أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(٣)].

عباد الله! ولا زلنا ننظر في أحوال عصاة المسلمين في أرض المحشر ـ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ـ فانظروا، في هذا الزحام الشديد، وفي هذا الكرب الشديد، وفي هذا العرق الغزير، انظروا فهذا رجل يحمل بعيراً على رقبته، وهذا آخر يحمل بقرة على رقبته، انظروا إلى الثالث فإنه يحمل شاة على رقبته، وانظروا إلى الرابع فإنه يحمل فرساً على رقبته، أتدرون من هؤلاء يا عباد الله؟ إنهم أصحاب الغلول، كل من يغلون من الغنيمة: السارق، الناهب، المختلس الذي يأخذ مما ائتمن عليه، الذي يسرق من الناس، والله لا أدري يا عباد الله ماذا يفعل!! أولئك الذين يختلسون من أموال المسلمين، ويسرقون، وينهبون؟ كم سيحملون على ظهورهم يوم القيامة من أحمالٍ ثقيلة؟ إن المرء يحمل أوزاره على ظهره،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠١٦)، م: (١٧٣٥).
(٢) **صحيح**: م: (١٧٣٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

ويحمل أوزار من أضلهم على ظهره، ويحمل ما سرق وما أخذ من الغنيمة على ظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

يقول ﷺ في الحديث الطويل: «**لا أُلفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاءُ يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك...**»(١).

فتبين لنا عباد الله أن الذي يسرق يأتي يوم القيامة في أرض المحشر حاملاً لما سرق على رقبته، إنها الفضيحة، فإياك إياك أن تغل مما ائتمنت عليه، وإياك إياك أن تنهب مما تحت يدك إن كنت موظفاً عند إنسان أو موظفاً في أي مكان، إياك أن تأخذ، وتسرق وتنهب، وإن كان ما أخذت على صورة هدية.

● فأحدهم تقدم له سيارة هدية، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى يهدى إليه.

● وآخر يقدم له خمسون دونماً من الأرض هدية، هلَّا جلس في بيت أبيه وأمه حتى يهدى إليه!

● استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة فجاء فقال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إلي؟ أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعَر**»(٢).

نعم، السارق يأتي يوم القيامة في هذا الموقف العظيم يحمل ما

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٩٠٨)، م: (١٨٣١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٧٥٣)، م: (١٨٣٢).

سرق على رقبته إنها فضيحة يوم تبلى السرائر، يوم يكشف المستور، يوم يخرج الله ﷻ ما في الصدور، فاعمل لهذا اليوم، واجتهد لهذا اليوم حتى يسترك الله يوم تبلى السرائر.

عباد الله! هناك فريق من الناس، ومن العصاة يعذبون يوم القيامة بأن يحرموا نظر الله ﷻ إليهم.

ومن أولئك على سبيل المثال:

يقول ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة** ـ فاحذر أن تكون من هؤلاء ـ: **العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث**»[1] أتعرفون العاق لوالديه يا عباد الله؟ إنه الذي عصى الله في والديه، فالله ﷻ أمره ببر والديه بعد أن أمره بعبادته سبحانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ابن آدم! الأب والأم لا يُقال لهما: أف، فكيف بالذين يضربون، أو الذين يسبون آبائهم، أولئك لا ينظر الله لهم يوم القيامة، ومن لم ينظر الله له يوم القيامة عُذب.

● فالعاق لوالديه ملعون: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، يقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله ـ فذكر منها ـ «**وعقوق الوالدين**»[2]. وقال ﷺ: «**من الكبائر شتمُ الرجل والديه!**»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسُبُ أبا الرجل فيسُبُ أباه، ويسُبُ أمهُ**

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٣/ ١٣٤)، طب: (١٢/ ٣٠٢)، هب: (٦/ ١٩٢)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

فيسُبُّ أمه»[١].

فهل في عصرنا هذا من يسب أمه ووالده مباشرة؟ أقول: إن الأمر لم يتوقف عند السب والشتم فقط، بل إنه وصل إلى الضرب والطرد، ولعل الكثير من المترفين يأخذ أمه ووالده إلى الملجأ ويدفع مبلغاً من المال ليستريح من همهما! ويحك أيها الولد، قاتل الله أمثالك، بدل أن تتقرب إلى الله، وبدل أن تسعى لتدخل الجنة ببرك لوالديك تفعل هكذا! لكن بر الوالدين فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن عق والديه فسيرى ذلك من أبنائه، ومن ضرب والديه فسيرىٰ ذلك من أبنائه؛ فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

● أما المرأة المترجلة الملعونة:

فإن المرأة تكون امرأة حقيقية بحيائها وأدبها، أما إذا ترجلت المرأة فلبست لبسة الرجل، ومشت مشية الرجل، وتكلمت كما يتكلم الرجل فهي ملعونة، ولا ينظر الله إليها يوم القيامة؛ لأنها خلقت امرأة فترجلت! وهي ملعونة؛ لأن رسول الله ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال.

● والديوث ملعون كذلك:

والديوث هو من يقر المنكر في أهله، يراها تتبرج وتتزين وتكشف عن ساقيها وعن جسمها، وتبيع لحمها في الشارع للذئاب رخيصاً لا ثمن له، وهو يقر ذلك ويرضاه، الديوث رجل يسمح لامرأته أن تجالس الرجال الأجانب، وأن تمزح مع هذا وتكلم هذا، وتذهب مع هذا وتخلو بهذا، فهذا ديوث قد أقر المنكر، ورئيس هؤلاء هو من يعلم أن امرأته تزني ويرضى بذلك.

عباد الله! العصاة يعذبون في أرض المحشر، فاعتبروا منهم قبل أن ينزل بكم ملك الموت فتندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).

عباد الله! المعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا والآخرة، المعاصي تسود الوجوه في الدنيا والآخرة. فالعاقل من يحدث توبة مما اقترف من المعاصي قبل أن يندم؛ لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها وأراد أحدنا أن يتوب أغلقت أبواب التوبة في وجهه، وإذا نام أحدنا في فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم وأراد عندها أن يتوب أغلقت أبواب التوبة في وجهه، فالعاقل هو الذي يبادر بالتوبة من المعاصي مهما كانت صغيرة أو كبيرة قبل أن يندم، وعليه أن يبادر كذلك بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤]. والرسول ﷺ يقول: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[١] فمن اقترف من هذه المعاصي شيئاً أو من غيرها فليبادر بالتوبة وليبادر بالأعمال الصالحة.

فيا أيها العاقل! يا من أحدثت توبة في رمضان وسارعت إلى الأعمال الصالحة في رمضان، ها هو قد انتهى رمضان أو أوشك على الانتهاء، وهكذا الأيام تمر، وهكذا العمر ينقضي، وما هي إلا لحظات ثم تنتقل إلى الدار الآخرة.

نسيرُ إلى الآجالِ في كل لحظةٍ ... وأيامُنا تُطْوَى وهنَّ مَراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتْه الأمانيُ باطلُ
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائلُ

فمن أحدث توبة في رمضان، وبادر بالأعمال الصالحة في رمضان فلا يحرم نفسه بعد رمضان من هذه الأعمال الصالحة؛ فإنَّ الحسنات يذهبن السيئات، فمن صام رمضان فلا يحرم نفسه من صيام الست من شوال بعد رمضان لقوله ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه بستٍ من شوال فكأنما صام الدهر**»[٢] ويجوز لك أن تصوم هذه الأيام بعد العيد مباشرة

---

(١) **حسن**: ت: (١٩٨٧)، حم: (٥/ ١٥٣)، مي: (٢٧٩١)، ك: (١/ ١٢١)، طب: (٢٠/ ١٤٥)، هب: (٦/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٩٧)].

(٢) **صحيح**: د: (٢٤٣٣)، هـ: (١٧١٦)، حب: (٣٦٣٤)، لس: (٥٩٤)، طب: (٤/ ١٣٤)، [«ص.غ.هـ» (١٠٠٩)].

متتالية أو متفرقة إلا في الأيام التي نهى الشرع عن صيامها إلا في الفريضة كيوم السبت.

• وعليك أن تحافظ على صيام الأيام المشروعة كما بينها رسول الله ﷺ كصيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء إلى غير ذلك.

• ومن وفق لقيام رمضان فلا يحرم نفسه من قيام الليل بعد رمضان.

• ومن وفق لإطعام الطعام في رمضان فلا يحرم نفسه من إطعام الطعام بعد رمضان؛ فإنه ينجي من كربات يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١١].

• ومن وفق للإنفاق في رمضان، ولبذل المال في رمضان فلا يحرم نفسه من الصدقة بعد رمضان؛ فإن الصدقة تطفئ غضب الرب، والصدقة سبب لتطهير النفس والمال، وهي سبب لنجاة الإنسان من ميتة السوء، فلا تحرم نفسك من الطاعة بعد رمضان.

واحذر يا أخا الإسلام أن تنتكس إلى المعاصي بعد رمضان، فها هو إبليس وجنده ينتظرونكم بعد رمضان ليأخذونكم ويعيدونكم إلى حزبهم مرة ثانية، فإياك أن تذهب مع إبليس فإنه يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ولكن كن على ما كنت عليه في رمضان، واثبت على ذلك حتى تلقى الله، لتنجو بذلك من كربات يوم القيامة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁



مشاهد يوم القيامة

المشهد السادس: الشفاعة العظمى

عباد الله! في الجمع الماضية تكلمنا عن أحوال الناس في أرض المحشر يوم القيامة، وتبين لنا أن الكفار والمجرمين يكونون يوم القيامة في أرض المحشر في أَسوأ حال، وأن الأتقياء من المؤمنين الصادقين يكونون يوم القيامة في أرض المحشر في أسعد حال، وتبين لنا يا عباد الله أن العصاة من المسلمين يعذبون في أرض المحشر ببعض ذنوبهم حتى يقضي الله بين العباد ثم يرى الواحد منهم سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وقلنا: إنه يجب على العاقل أن يبتعد عن المعاصي؛ لأنها تسوِّد الوجوه في الدنيا والآخرة، ولأنها حمل ثقيل على الظهر يوم القيامة فاحذروا المعاصي عباد الله.

عباد الله! **أما موعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فسيكون مع المشهد السادس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد الشفاعة العظمى».**

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر أجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، الشمس على رؤوس العباد، الحر شديد، والعرق يلجم الناس إلجاماً، وكلٌ يحمل أوزاره على ظهره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]. وينادي المناد: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

- في أرض المحشر في هذا الموقف الرهيب الشديد ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ

عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وآخر يقول: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، وآخر يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وآخرون يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، إلى غير ذلك من النداءات في يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم.

عباد الله! بلغ بالناس في هذا اليوم من الهم والغم والكرب ما لا يطيقون، ماج الناس بعضهم في بعض، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغ بنا؟ ألا تنظرون إلى أحد يشفع لكم عند ربكم؟ نعم فالعذاب في أرض المحشر أليم، والموقف شديد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقد ماج الناس بعضهم في بعض يقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغ بنا ألا تنظرون إلى أحد يشفع لكم عند ربكم؟ فيقول بعضهم: اذهبوا إلى آدم.

● فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك الجنة، يا آدم ألا ترى ما قد بلغ بنا؟ ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك ليفصل بيننا إما إلى الجنة وإما إلى النار؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وقد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

عباد الله! إذاً آدم يعتذر أن يشفع للناس عند الله لفصل الخطاب.

● فيأتون نوحاً فيعتذر نوح ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم.

● فيأتون إبراهيم فيعتذر إبراهيم ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى.

• فيأتون موسى فيعتذر موسى ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى.

• فيأتون عيسى فيعتذر عيسى ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى محمد.

أولو العزم من الرسل يعتذرون أن يتقدموا للشفاعة للناس عند ربهم لفصل الخطاب.

• فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت خاتم الأنبياء والمرسلين، عبدٌ قد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغ بنا، ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول ﷺ: أنا لها، فيأتي ﷺ ربه ويخر ساجداً تحت العرش لربه فيحمد الله ﷻ، ويثني عليه بمحامد لم يفتح الله ﷻ على أحد قبله بمثلها ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيشفع ﷺ للناس عند ربهم لفصل الخطاب وهذه هي الشفاعة العظمى، وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله ﷻ فيه لرسوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

عباد الله! شفاعة عظيمة يتقدم بها ﷺ ولا يجرؤ عليها أحد يوم القيامة إلا هو، فيشفع للناس عند ربهم فينزل ربنا جل وعلا نزولاً يليق بجلاله لحساب الناس وليخلصهم من أهوال يوم القيامة، وظن الناس أن عذاب هذا الموقف أشد من عذاب النار وما يدرون أن النار فيها من العذاب الأليم ما لا يعلمه إلا الله.

عباد الله! ولرسولنا ﷺ يوم القيامة شفاعات أخرى غير هذه الشفاعة العظمى منها:

١ ـ يشفع ﷺ في أناس فيدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ونسأل الله أن نكون من هؤلاء.

٢ ـ يشفع ﷺ في أناس قد تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فيدخلون الجنة.

٣ ـ يشفع ﷺ في أُناس ليرتفعوا درجات في الجنة أعلى مما يستحقون.

٤ ـ يشفع ﷺ في أُناس وجبت لهم النار لكنهم ماتوا على التوحيد فلا يدخلون النار.

٥ ـ يشفع ﷺ في أُناس من أهل التوحيد دخلوا النار بمعاصي فعلوها في الدنيا، وماتوا ولم يتوبوا منها فيخرجون من النار إلى الجنة.

٦ ـ يشفع ﷺ في عمه أبي طالب فيخفف عنه العذاب في النار، فينتعل نعلين من نار يغلي منهما دماغه، يظن أنه أشد الناس عذاباً، وهو أهون الناس عذاباً.

عباد الله! الشفاعة يوم القيامة كلها لله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فإياك إياك أن تطلب الشفاعة من أحد غير الله، ولذلك يجب على كل مسلم أن يعلم أن الشفاعة المقبولة عند الله ﷻ يوم القيامة هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

أولاً: لا يشفع أحد يوم القيامة عند الله إلا بعد أن يأذن الله له ولو كان من أولي العزم، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا أحد يشفع عند الله يوم القيامة إلا بإذنه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

فحتى رسولنا ﷺ لا يتقدَّم ليشفع لأحد يوم القيامة إلا بعد أن يسجد لله فيأذن له بذلك، ويقول ﷻ له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع.

ثانياً: لا يشفع أحد يوم القيامة في أحد إلا إذا رضي الله عن المشفوع فيه، مثلاً لا يشفع عليٌ في أحمد إلا إذا رضي الله ﷻ عن أحمد. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

ثالثاً: لا يشفع يوم القيامة أحدٌ في أحد مات على الكفر أو على الشرك ليخرج من النار وذلك لأمور:

١ ـ لأن الله ﷻ أعد النار للكافرين والمشركين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

٢ ـ ولأن الله ﷻ حرم الجنة على المشركين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثال ذلك:

ما روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يلقى إبراهيم** ﷺ **أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأيُّ خزي أخزى مِنْ أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فيؤخذ بقوائمهِ فيلقى في النار**»(١).

إذاً الشفاعة يوم القيامة تقع من أهل التوحيد لأهل التوحيد، لتعلموا يا عباد الله أنها العقيدة أولاً.

فهذا رسولنا ﷺ يشفع لعمه أبي طالب فقط ليخفف عنه من العذاب في النار ولا يخرج من النار بشفاعته ﷺ لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧٢).

عباد الله! الشفاعة يوم القيامة كلها لله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ورسولنا ﷺ يشفع يوم القيامة بعد أن يأذن الله له، فمن أراد أن يتحصل على شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة فعليه بما يلي:

أولاً: الإخلاص لله ﷻ في كل العبادات، فتذكروا أن الإخلاص هو سر النجاح في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال ﷺ: «... **أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»(١).

ثانياً: أن يبتعد عن الشرك بجميع أنواعه، فالشرك وبال على صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني ٱختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**»(٢).

ثالثاً: الإكثار من الأعمال الصالحة، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك، قال ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٣).

رابعاً: أن تصلي على رسول الله ﷺ بعد الأذان، وأن تسأل الله ﷻ له الوسيلة، يقول ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»(٤).

والصلاة على رسول الله ﷺ تكون ممن سمع الأذان وليست من

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٩٤٥)، م: (١٩٩). (٣) **صحيح**: م: (٤٨٩).
(٤) **صحيح**: م: (٣٨٤).

المؤذن في السماعات عقب الآذان بصوت مرتفع كما نسمع من كثير من الناس، فإنما تكون ممن سمع الأذان كما قال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول**»(١) فالخطاب هنا للسامعين، وليس للمؤذن أن يصلي على رسول الله ﷺ بصوت مرتفع بعد الآذان في السماعات.

بل لقد ظن كثير من جهلة المسلمين أن الصلاة على رسول الله ﷺ جزء من الأذان وظنوا أن من لم يفعل ذلك فهو آثم وعاصٍ لله ولرسوله!!

لا يا عباد الله، الصلاة على رسول الله ﷺ لكل من سمع الأذان، وقال بعض العلماء: ويجوز للمؤذن أيضاً أن يصلي على رسول الله ﷺ بعد الأذان، ولكن في نفسه وليس بصوت مرتفع.

اللهم شَفِّع فينا نبيك محمداً ﷺ

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨٤).



مشاهد يوم القيامة

المشهد السابع: «مشهد الأسئلة»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد السادس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الشفاعة العظمى**»

وتبين لنا عباد الله أن رسولنا ﷺ هو الذي يتقدم لهذا الأمر العظيم بعد أن تأخر عنه أولو العزم من الرسل، فيأتي رسولنا ﷺ فيسجد لله ﷻ تحت العرش، ويحمد الله ﷻ ويثني عليه، ثم يقال له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيشفع ﷺ الشفاعة العظمى وهي أن يأتي الرب جل وعلا لفصل الخطاب بين الناس ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد السابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد الأسئلة».

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر يتطلعون، وينظرون متى يأتي الرب ﷻ لفصل الحساب بعد أن شفع لهم رسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا لننظر إلى أحوال الناس في أرض المحشر في هذه اللحظة، وهم ينتظرون ويتطلعون متى يأتي الرب ﷻ لفصل الحساب، يقول الله ﷻ واصفاً أحوال الناس في هذه اللحظة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣ ـ ٥١].

ويقول الله ﷻ في سورة أخرى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ١٥ ـ ٢٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١]، هولٌ شديد، الناس في أرض المحشر أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، أفئدتهم هواء، ينتظرون متى يأتي الرب ﷻ، وهم في هذا الهول، وفي هذا الخوف الشديد تنزل الملائكة من السماء بعدد لا يعلمه إلا الله يحيطون بالموقف من كل جانب صفوفاً.

كما قال رب العزة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨]. بعد ذلك ينزل ربنا جل وعلا في ظلل من الغمام لمحاسبة الخلائق. ومجيء الرب ﷻ لفصل الحساب يوم القيامة قد ذكر لنا في كتاب ربنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٢].

عباد الله! ومجيء الرب سبحانه يوم القيامة صفة من صفاته تبارك وتعالى لله كالاستواء على العرش، وكالنزول في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، فالمجيء صفة من صفات الله يجب على المؤمن أن يعتقد بها وبأنها صفة ثابتة تليق بجلال الله.

عباد الله! والذي يليق بجلال الله تعالى أن نثبت لله ﷿ أنه يجيء يوم القيامة مجيئاً يليق بجلاله ليس كمجيء المخلوقين بدون تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تكييف.

وبعد أن جاء الرب سبحانه وتعالى لفصل الحساب أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء ونصبت الموازين، إنها محكمة إلهية كتب على بابها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عباد الله! أتدرون ما هو أول نداء هنا؟ أتدرون مِنْ مَن يكون؟ ولمن يكون؟ أول نداء يكون من الرب سبحانه وتعالى، أتدرون لمن؟ لآدم أبو البشر.

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷿: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟! قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين.** قال: **فذاك حين يشيب الصغير** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[(١)]» [الحج: ٢].

عباد الله! بعد ذلك تبدأ الأسئلة؟

- يسأل الله ﷻ الرسل هل بلغتم رسالات الله؟
- ويسأل الله ﷻ الأمم ماذا أجبتم المرسلين؟

الأمر خطير يا ابن آدم، الرسل تُسأل يوم القيامة أمام الخلائق: هل بلغتم الدين؟ والأمم تسأل: ماذا أجبتم المرسلين؟

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].

واللهِ يا ابن آدم ستقف بين يدي الرب ﷻ ليس بينك وبينه ترجمان، ويسألك عن مالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ فيا أكلة الربا، اتقوا الله، ماذا عساكم تقولون لرب العزة يوم القيامة إذا سألكم عن أموال الربا من أين حصلتم عليها؟ هل تجرؤ أن تقول: يا رب حاربتك في الدنيا وأكلت الربا؟

- ***عباد الله!*** يبدأ ربنا جل وعلا وأمام الخلائق بسؤال الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ ـ من آدم إلى محمد ﷺ على جميع أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأماكنهم وأزمانهم ـ ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ ـ فيجيبون من شدة الهول ومن شدة الخوف ـ ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

الرسل من شدة الهول وصعوبة الموقف أسندوا العلم إلى الله ﷻ لأنه لا يتكلم ـ يومئذٍ ـ أحدٌ إلَّا بإذن الله، وإذا تكلم قال صواباً، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٦٥)، م: (٢٢٢).

[النبأ: ٣٨]، ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، يا رب أنت تعلم ماذا قالت لنا الأمم، أنت تعلم ماذا فعلوا بنا، لقد بلغناهم وأنت أعلم بما قالوا لنا، فأنت علام الغيوب.

• ثم يوجه ربنا جل وعلا سؤالاً خاصاً، لنبي معين قال عنه قومه: إنه ابن الله، وقالوا: إنه هو الله، وقالوا عنه: ثالث ثلاثة. والله يعلم أن عيسى ما قال لهم ذلك، ولكن هذا السؤال لعيسى توبيخاً للنصارى الذين قالوا ذلك..

عباد الله! اسمعوا السؤال الذي يُوجّه إلى عيسى عليه السلام في أرض المحشر:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٩].

يا تُرى الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله، الذين قالوا: إن عيسى ابن الله صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله. الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله. ويوم القيامة ينفع الصادقين صدقهم فيا ويلك أيها الكذاب، «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة**»[1].

عباد الله! بعد أن سأل الله عز وجل الرسل يتوجه إلى الأمم بالسؤال فيسأل كل أمة هل بلغكم هذا الرسول؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]، يا معشر الأمم ـ وما من أمة إلا خلا فيها نذير ـ ماذا أجبتم المرسلين؟ ماذا قلتم لمحمد بن عبد الله ﷺ؟ هل عملت بسنته؟ هل تمسكت بسنته؟ هل سلكتم سبيله في الدنيا؟ أم أنكم كنتم تضربون بسنته عرض الحائط؟!

قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمتهُ فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾»(١) [البقرة: ١٤٣].

عباد الله! ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وستأتي كل أمة يوم القيامة مع رسولها فيسأل الله ﷻ الرُّسل ماذا أُجِبْتُم؟ ويسأل الله ﷻ الأمم ماذا أَجَبْتُم المرسلين؟ الموقف يوم القيامة عند هذه الأسئلة موقف عظيم، وموقف شديد، لا يعلمه إلا الله، وقد صور الله لنا هذا المشهد في كتابه العظيم في آخر سورة الجاثية يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٢٧ ـ ٣٥].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢١٧).

يا بني آدم: اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير، كلوا الربا، ضيعوا أوقاتكم على شاشات المفسديون، اقترفوا الزنا، اسمحوا لنسائكم بالتبرج، انشغلوا بالدنيا واتركوا الآخرة. قال ربنا في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

ووالله يا ابن آدم ستقف بين يدي الله وستسأل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] فاعملوا ما شئتم، فالموت يأتي بغتة، وستندم يا ابن آدم في وقت لا ينفع فيه الندم، وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي.

عباد الله! ثم بعد ذلك ماذا يحدث في أرض المحشر يوم القيامة؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم استرنا يوم تبلى السرائر

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الثامن: «مشهد تطاير الصحف»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد السابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الأسئلة**».

وتبين لنا عباد الله أن الله ﷻ يوم القيامة يجمع الرسل فيسألهم: ماذا أُجبتم؟ ويقول للأمم التي أرسلوا فيها: ماذا أجبتم المرسلين؟ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

فتبين لنا عباد الله أن الأمر خطير يوم القيامة، فالله ﷻ يسأل الرسل فيقول سبحانه لكل رسول: هل بلغت ديني؟ ويقول لأمة هذا الرسول: هل بلغكم رسولي؟ كما قال رب العزة: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثامن من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد تطاير الصحف».

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر، زحام شديد، عرق غزير، أجساد الناس عارية، أبصار شاخصة، قلوبٌ واجفة، ينتظرون يا عباد الله متى يتقدمون للحساب وللجزاء.

عباد الله! وقبل أن يوقف الإنسان للحساب والجزاء لا بُدَّ أن يُؤْتىٰ كتابه الذي سُجِّلت فيه أعماله في هذه الحياة الدنيا.

فتعالوا بنا لننظر إلى مشهد تطاير الصحف كما صوره لنا ربنا في

كتابه، ولنستمع إلى أقوال الفريقين بعد أن أخذَ كل منهم كتابه، هذا بيمينه، وهذا بشماله من وراء ظهره، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ٣٧].

وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ [الانشقاق: ٦ ـ ١٥].

ابن آدم!

مثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُريانا ... مستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا

والنار تلهبُ منْ غيظٍ ومنْ حنقٍ ... على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهلْ ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

لما قرأتَ ولم تُنكر قراءته ... إقرار مَنْ عرفَ الأشياءَ عرفانا

نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

ابن آدم! من الخطأ أن تظن أنك في هذه الدنيا تعمل ما شئت، وتقول ما شئت ثم تظن أنك تترك هكذا بلا رقابة، وبلا حساب، ولا عذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]. لا والذي لا إله إلا هو، لقد وَكَّل الله بك ملائكة كراماً يعلمون ما تفعل، ويسجلون عليك ما تقول، ويكتبون عليك ما تفعل بدقة متناهية وقد أخبر الله بذلك في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٧ ـ ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

ابن آدم! يقول ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»[(١)].

ملائكة كرام يكتبون، ويسجلون عليك ما تفعل، وما تقول بدقة متناهية لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا سجلوها عليك، والله قد أخبرك بذلك في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٠)، م: (٦٣٢).

ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾، أي في الكتب التي مع الملائكة ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

ابن آدم! قل ما شئت، وافعل ما شئت، فالله ﷻ يحصي عليك ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦]، ويوم القيامة إن وجدت خيراً فاحمد الله، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ابن آدم! ملائكة يسجلون عليك بالليل والنهار. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، أنت تتكلم وهم يكتبون، أنت تعمل وهم يكتبون، أنت تكتب وهم يسجلون، ويوم القيامة ستندم يا من فعلت المعاصي في وقت لا ينفع فيه الندم. فاعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

عباد الله! لا تنسوا أننا في هذه الدنيا تحت رقابة شديدة، ملائكة كرام يسجلون علينا ما نقول وما نفعل، وهذا الكتاب الذي سجل فيه الملائكة كل ما فعلناه، إذا مات الواحد منا وانقطع عن هذه الدنيا طوي هذا الكتاب ووضع معه في عنقه في قبره ويوم القيامة يرد لك هذا الكتاب لتنظر فيه في أرض المحشر لتعلم ما عملت قبل أن توقف للحساب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، قال الحسن البصري رحمه الله وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] يا ابْن آدم بُسِطَتْ لك صحيفةٌ، وَوُكِّلَ بكَ ملكان كريمان، أَحَدُهما عَن يمينك، والآخر عَنْ شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأَما الذي عَن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئتَ، أَقْلِلْ أو أَكْثِرْ، حتى إذا مِتَّ طُويت صحيفتك، وجُعلت في عنقك

معك في قبرك، حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾، ثم يقول: عدَل ـ واللهِ ـ فيك من جعلك حسيب نفسِك[١]. اقرأ يا ابن آدم ما عملت في يوم كذا، في مكان كذا، في ساعة كذا، عملت كذا، أتنكر يا ابن آدم؟! ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦].

ولذلك يقول ربنا جل وعلا في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[٢].

ابن آدم! يوم القيامة وأنت في أرض المحشر إذا أَخذت كتابك فلن تستطيع أبداً أن تغير فيه شيئاً، ولن تستطيع أن تبدل منه شيئاً ولا أن تمحو منه شيئاً لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]، ولكن الآن وأنت في هذه الدنيا في دار العمل تستطيع يا ابن آدم أن تبدل وأن تمحو، وأن تغير في كتابك. أتدرون كيف يكون ذلك يا عباد الله؟ يكون بالتوبة النصوح وبالرجوع إلى الله. فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تجبُّ ما قبلها، فبالتوبة النصوح تستطيع أن تبدل في كتابك الأسود الذي ملأته بالمعاصي وأنت في هذه الدنيا، فهي دار العمل وتستطيع يا ابن آدم أن تمحو هذه السيئات بالإكثار من الأعمال الصالحة، فالحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين.

ابن آدم! أكثرْ من الأعمال الصالحة في دنياك لتمحو بها السيئات حتى لا تندم يوم القيامة على ما في صحيفتك من الأعمال السيئة، وإياك يا ابن آدم أن تملأ كتابك بالسيئات، فالصحيفة بيضاء وأنت الذي تملأها إما بالخير وإما بالشر فاعمل ما شئت.

---

(١) ***صحيح***: تفسير الطبري (١١/ ٤١٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥).

(٢) ***صحيح***: صحيح: م: (٢٥٧٧).

عباد الله! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهَّزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁



مشاهد يوم القيامة

المشهد التاسع: «مشهد الحساب والعرض على الله»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثامن من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد تطاير الصحف**».

وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر إذا تطايرت الصحف انقسموا إلى قسمين: قسم يأخذ كتابه بيمينه ألا وهم السعداء ونسأل الله أن نكون منهم، وقسم يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ألا وهم الأشقياء والمجرمون، وتبين لنا عباد الله أن كلاًّ من الفريقين ينظر في كتابه، فالسعداء يفرحون بما وجدوا في كتبهم من الأعمال الصالحة، وأما الأشقياء والمجرمون إذا نظروا في كتبهم قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد التاسع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد الحساب والعرض على الله».

في هذا اليوم الذي أشرقت فيه الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، ونصبت الموازين، والناس في أرض المحشر كلٌّ قد أخذ كتابه ونظر فيه، وينتظر كل منهم الآن متى ينادى عليه للوقوف بَيْن يدي الله للحساب والجزاء قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى مشهد الحساب والعرض على الله كما صوره لنا ربنا في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ۖ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١ ـ ١٥].

ويقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(١).

عباد الله! قال الفضيل بن عياض لرجل: (كم مضى من عمرك؟ قال: ستون عاماً، قال الفضيل: فأنت منذ ستين عاماً تسير إلى ربك

---

(١) **صحيح**: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً)[١].

ابن آدم! هل تجهزت للإجابة على الأسئلة التي ستوجه إليك من قبل الجبار سبحانه وتعالى يوم القيامة؟

ابن آدم! تخيل نفسك الآن في أرض المحشر، في هذا الزحام الشديد، في هذا الحر الشديد، وأنت تنتظر متى ينادى عليك للحساب وإذا بالملائكة الكرام تنادي: فلان ابن فلان فتعلم أنك أنت المطلوب، فتأخذك الملائكة للحساب، ملك عن اليمين يسوقك إلى الحساب، وآخر عن الشمال يشهد عليك أمام الله، أخذوك أيها المسكين وأنت ضعيف بين أيديهم لا حول لك ولا قوة.

كما قال ربنا: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢١، ٢٢]، عندها يقول الإنسان: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾، فيقال له: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١١ - ١٤].

ابن آدم! مَثِّل نفسك الآن وأنت بين يدي الله يقال لك:

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترىٰ فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرارَ مَنْ عرف الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

أمة الإسلام! استيقظوا فقد آن الأوان، فالموقف خطير، والسؤال دقيق، والحساب إما يسير وإما عسير.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع من خلال الكتاب والسنة إلى كيفية

---

(١) حل: (٨/ ١٣٣).

حساب المؤمن ليستبشرَ المؤمنون بذلك ويزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

يقول الله ﷻ مبشراً عباده المؤمنين في كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

ويقول ﷺ: «**إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب: حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطي كتاب حسناته...**»(١)، فيرجع إلى أهل الموقف فرحاً مستبشراً مسروراً يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! وأما الكافر والمجرم فيوقفه الله ﷻ على رؤوس الأشهاد، لا يستره ولا يحجبه وذلك ليفتضح أمره ثم يقول الله ﷻ للكافر: «أي عبدي عملت يوم كذا، كذا وكذا، فيقول الكافر: وعزتك وجلالك يا رب ما عملته، ويظن المسكين أنه يستطيع أن يكذب كما كان يكذب في الدنيا ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

يا عبدي عملت يوم كذا، كذا وكذا؟ فيقول: وعزتك وجلالك يا رب ما عملته، فيقول الله ﷻ: عبدي من يشهد عليك؟ فيقول الكافر والمجرم: لا أرضى على نفسي شهيداً إلا منها(٢). يريد الكافر والمجرم أن يجيب هو عن نفسه، وظن المسكين أنه عندما يُسأل هل فعلت كذا؟ فسيقول: لا والله يا رب فينجو كما كان يكذب في الدنيا وحينذاك يصدر الأمر الإلهي من الجبار تبارك وتعالى للسانه بأن لا يتكلم ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥] فتنطق

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٠٩)، م: (٢٧٦٨).

(٢) يشير إلى حديث عند م: (٢٩٦٩).

الأيدي، والأفخاذ، والأرجل، والسمع، والبصر، الكل يشهد بما عمل ثم يخلي ربنا جل وعلا بين هذا الكافر والمجرم وبين جوارحه فيقول المجرم لجوارحه: لِمَ شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، وقد تبين لكم يا عباد الله كيف يحاسب ربنا جل وعلا المؤمن، وكيف يحاسب ربنا جل وعلا الكافر والمجرم.

***فيا عباد الله!* هنا سؤال لعله يدور في الأذهان ألا وهو، هل يُسأل الكفار وهل يحاسبون أم أَنهم سيؤخذ بهم من أرض المحشر إلى جهنم وبئس المصير؛ لأن أعمالهم حابطة ولأنه ليس بعد الكفر ذنب؟**

اختلف العلماء في هذه المسألة:

• فمنهم من قال: الكفار لا يُسألون ولا يحاسبون بل يؤخذ بهم من أرض المحشر إلى النار لأنه ليس بعد الكفر ذنب، ولأن أعمالهم حابطة فلا فائدة من السؤال عنها، واستشهدوا على قولهم هذا بقول ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

• وفريق آخر من العلماء قالوا: الكفار يسألون ويحاسبون لأن الله ﷻ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾ [غافر: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، كما وأخبرنا ﷻ أن الإنسان يوزن في

الميزان مع أعماله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

والصحيح يا عباد الله أن الكفار يسألون ويحاسبون.

وهناك ثمة سؤال آخر وهو: لماذا يسألون ويحاسبون وأعمالهم حابطة؟

والإجابة على هذا السؤال هي:

أولاً: لأن الله ﷻ يريد أن يقيم الحجة على عباده في الدنيا والآخرة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

فهم إذا دخلوا النار اعترفوا بذنوبهم، قال تعالى عنهم: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

ثانياً: يكون السؤال لتوبيخهم وتقريعهم أمام الخلائق يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٣٠].

ثالثاً: لأن الكفار مطالبون بأصول الشريعة وبفروعها، كما قال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]، فيحاسبهم الله ﷻ على كفرهم، وعلى تركهم للصلاة والزكاة وعلى غير ذلك.

رابعاً: يحاسبهم الله ﷻ ويسألهم لأن النار دركات بعضها تحت بعض، كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، فكما أن أهل الجنة يدخلون الجنة ويرتفعون فيها بأعمالهم الصالحة، فكذلك أهل النار يدخلون النار وينزلون في دركاتها بحسب أعمالهم السيئة، فهناك من هو

كافر فقط، وهناك من هو كافر وصادٌ عن سبيل الله، وهناك من كفر وتحدى دين الله، فكلٌ يوضع في درجته المناسبة من العذاب الأليم؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، فهناك من الكفار من يكون في الدرك الأسفل، وهناك من يكون دون ذلك عذاباً.

● أما معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، قالوا: لا يسألهم الله سؤال رحمة، ولا سؤال شفقة، إنما يسألهم سؤال توبيخ وتقريع.

● وقالوا: الناس في أرض المحشر ينتقلون من شدة إلى شدة، ومن موطن إلى موطن، فالله يسألهم في مكان ولا يسألهم في مكان آخر.

عباد الله! من هو أول من يقضى عليه يوم القيامة؟ هذا ما سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

اللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك





مشاهد يوم القيامة

المشهد العاشر: «محاسبة المرائين»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد التاسع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الحساب والعرض على الله**».

وتبين لنا عباد الله أن الناس يوقَفون بيْن يدي الله للحساب والجزاء، وقلنا: بأنه ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

وقلنا: إن المؤمن إذا أُوقف للحساب وللجزاء فإن الله ﷻ يستره عن الخلائق حتى إذا قرره بذنوبه قال له: عبدي سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيأخذ كتاب حسناته ثم يخرج إلىٰ الناس فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٢] .

أما الكافر يا عباد الله فقلنا: بأنه إذا أوقفه الله ﷻ للحساب لا يستره عن الخلائق حتى يفتضح أمره، فإذا حاسبه الله ﷻ قال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٧].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد

العاشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**محاسبة المرائين**»، أتدرون من هم المراءون يا عباد الله؟ إنهم أولئك الذين لم يبتغوا بأعمالهم وجه الله، إنهم أولئك الذين عملوا من أجل الناس، إنهم الذين تصدقوا ليقال عنهم: كذا وكذا، إنهم الذين صلوا ليراهم الناس، إنهم الذين تعلموا ليقال عن أحدهم: عالم، إنهم الذين قرءوا القرآن ليقال عن أحدهم: قارىء، وهم كثيرون في هذا الزمان.

عباد الله! أخبرنا ﷺ أن أول من يقضي عليه من الناس يوم القيامة هم المراءون، فهم أول من تسعَّر بهم جهنم، يقال للمرائي يوم القيامة: يا مرائي يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب إلى الذي كنت ترائي له فخذ أجرك من عنده فلا أجر لك عندنا اليوم.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى محاسبة المرائين يوم القيامة كما أخبرنا بها رسولنا ﷺ.

يقول ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نِعمَته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**»[١].

---

(١) صحيح: م: (١٩٠٥).

فالويل لك أيها العالم إذا تعلمت لغير الله، وويلك أيها العالم إذا عملت لغير الله، وويلك يا طالب العلم إذا حفظت القرآن ليقال عنك: قارىء، أو تعلمت ليقال عنك عالم.

عباد الله! أول من تسعر بهم النار، وأول من يقضى عليهم يوم القيامة شهيد وعالم، وكريم، عندما روى أبو هريرة ﵁ هذا الحديث أغمي عليه ثلاث مرات، كان كلما همَّ أن يحدث أغمي عليه حتى إذا أفاق ومسح عن وجهه أغمي عليه مرة أخرى من شدة ما في هذا الحديث من الهول قال أبو هريرة ﵁ عندما حدثني رسول الله ﷺ بهذا الحديث ضرب على ركبتي وقال: «**يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**»(١).

• (ودخل رجل على معاوية ﵁ فلما حدثه بهذا الحديث بكى معاوية ﵁ بكاءً شديداً وقال: قد فُعِلَ بهؤلاء الثلاثة هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى حتى إذا أفاق مسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾)(٢) [هود: ١٥، ١٦].

أيها المسلم! أتقرأ هذه الآية: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها، أي: من كان يريد بخُطْبته، من كان يريد بكلامه، من كان يريد بعلمه، من كان يريد بما حفظ من القرآن الدنيا، ـ وأن تكتب عنه الصحف ـ فأولئك نوف لهم أجورهم، أي: في الدنيا، أما في الآخرة: أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، ك: (١/٥٧٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٢)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٢)].

عباد الله! الرياء جريمة عظيمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، وهو مرض قلبي خطير لا يسمع بالآذان، ولا يرى بالعين، ولا يحس بالأنامل، حتى إنه ليكاد يخفى على صاحبه.

● والرياء مأخوذ من الرؤية ـ أي: أن الإنسان عندما يقوم ويعمل لا يريد بعمله وجه الله، إنما يريد بعمله أن يراه الناس.

● والرياء من شيم المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾**﴾ [النساء: ١٤٢].

● الرياء من شيم الكفرة والظلمة والجبابرة والمتكبرين أيضاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

● الرياء يحبط الأعمال، قال ـ تعالى ـ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾ [البقرة: ٢٦٤]. من أجل ذلك حذر الإسلام من الرياء، فالله ﷻ يتوعد المرائين في كتابه، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٥ ـ ٧].

ويقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله** ﷻ **لهم يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»(١).

ويقول ﷺ: «**أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**» قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ فقال: **يقوم الرجل فيصلي فيُزيِّن صلاته جاهداً لما يرى**

(١) **صحيح**: حم: (٥/٤٢٨)، طب: (٤/٢٥٣)، هب: (٥/٣٣٣)، [«ص.ج» (١٥٥٥)].

من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»[(١)]. فإن أحدهم يقوم يصلي فيزين صلاته جاهداً، ويخشع في صلاته لما يرى من نظر الناس إليه، ويل لك أيها المسلم إن كنت تخشع في الصلاة من أجل الناس! أتنتظر الأجر منهم؟! إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فٱبتغِ بعملك وجه لله.

ويقول ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**ما من عبدٍ يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[(٣)]، فكونوا من الرياء على حذر.

عباد الله! المراءون أول من يقضى عليهم يوم القيامة، المراءون أول من تسعر بهم جهنم يوم القيامة، المراءون يفضحهم الله ﷻ يوم القيامة على رؤوس الخلائق، المراءون لا يجدون لهم ثواباً عند الله يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، يقال للمرائين يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم هل تجدون عندهم جزاء؟ لن يجدوا لأنفسهم جزاءً عند الله ولا عند الذين راءوا لهم في الدنيا، وذلك يا عباد الله لأن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما توفر فيه شرطان اثنان.

فاحرص يا ابن آدم على أن يقبل منك العمل عند الله، واعلم أن العمل لا يقبل عند الله يوم القيامة إلا إذا توفر فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص لله في العمل:

لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،

(١) **حسن:** خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣١)].

(٢) **حسن:** هـ: (٤٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٦٠٧)].

(٣) **صحيح لغيره:** طب: (٢٠/ ١١٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨)].

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

الشرط الثاني: موافقة السنة:

لأن الله ﷻ قال: ﴿**وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ**﴾ [التغابن: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢)، وقد جمع الله ﷻ بين هذين الشرطين في آخر سورة الكهف، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾**﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: موافقاً لما جاء به النبي ﷺ وخالصاً لله تعالى. فيا إخوة الإسلام عليكم بالإخلاص فهو سر النجاح في الدنيا والآخرة، وإياكم والرياء فهو سبب لكل شر في الدنيا والآخرة.

واعلموا عباد الله: أن العمل من أجل الناس رياءٌ، وترك العمل من أجل الناس رياءٌ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

واعلموا عباد الله: أن هناك ميزاناً تستطيع أن تزن به المرائي، فالمرائي: يزيد في العمل إذا رأى الناس، ويقلل من العمل إذا غاب عنه الناس، فهو يعمل من أجل الناس، ولا يعمل من أجل الله، أما المخلص: فهو يعمل إذا رآه الناس، وإذا لم يروه، فهو يطلب العلم ويعمل به، ويعبد الله ﷻ سواء رآه الناس أم لم يروه، لأنه يبتغي بذلك وجه الله.

فيا إخوة الإسلام! كونوا من الرياء على حذر، وإياكم والرياء، فالمرائي يفضح يوم القيامة، ويقلب كفيه على أعماله؛ لأنه لم يجد لها

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).

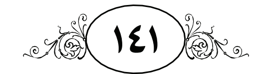
(٢) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

ثواباً، ويندم في وقت لا ينفع فيه الندم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينجينا وإياكم من الرياء وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل





مشاهد يوم القيامة

المشهد الحادي عشر:
«مشهد المحاسبة على الصلاة»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد العاشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «حساب المرائين»، وتبين لنا عباد الله أن المرائين يوم القيامة هم أول من يقضى عليهم، وأنهم أول من تسعَّر بهم جهنم.

وقلنا: إنه يجب على العاقل أن يخلص في عمله لله لأن الإخلاص هو سر النجاح في الدنيا والآخرة.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الحادي عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد المحاسبة على الصلاة».**

عباد الله! إن أول ما يُسْأَلُ عنه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة. فإذا وقف العبد بين يدي الجبار، فإن أول ما يُسأَلُ عنه الصلاة، الصلاة التي ضيعها كثير من المسلمين في هذا الزمان، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، يخبرنا بذلك رسول الله ﷺ فيقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[١].

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٤١٣)، ن: (٤٦٥)، هـ(١٤٢٥)، حم: (٢/ ٤٢٥)، ك: (١/ ٣٩٤)، ش: (٧/ ٢٧٦)، هب: (٣/ ١٨٢)، [«ص.غ.هـ» (٥٤٠)].

عباد الله! إذا وقف العبد بين يدي الجبار ﷻ ليس بينه وبينه ترجمان، فأول شيء يُسأَلُ عنه الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، أتدرون لماذا أفلح وأنجح يا أمة الإسلام؟ لأنه سيذهب بعد هذا الحساب إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ أي: قد تحقق الفلاح للمؤمنين الذين من أولى صفاتهم : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ وفي ذكر آخر هذه الصفات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

أما إذا فسدت الصلاة فقد خاب وخسر، أتدرون لم يا أمة الإسلام؟ لأن هذا سيذهب بعد الحساب إلى نار حامية كما أخبرنا ربنا جل وعلا فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

عباد الله! هذه آية في كتاب ربنا تقرءونها وهي تُخْبِرُ أن من أسباب دخول النار ترك الصلاة وفيكم من ترك زوجته لا تصلي، وفيكم من ترك أولاده لا يصلون وانشغل: بجمع حطام الدنيا فهو يربيهم ليكونوا حطباً لجهنم.

يا من تعلمون أولادكم فن جمع المال، علموهم كيف يصلون، فلو أن النار اشتعلت في ولدك أمامك لأقمت الدنيا وأقعدتها، ولكنك تعلم علم اليقين أنه إذا مات تاركاً للصلاة فهو إلى جهنم يشتعل فيها كلما نضج جلده أُبدل غيره، ومع ذلك كم منا ترك أولاده ولم يعلمهم الصلاة، ولم يأتِ بهم حتى إلى دروس العلم ليتعلموا كيف يصلون.

واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه من مات تاركاً للصلاة فهو إلى النار، يقول ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾، واعلموا ـ عباد الله ـ أن مَنْ تركها جحوداً لها وإنكاراً لفرضيتها فهو كافرٌ

خارج عن ملة الإسلام مخلَّدٌ في النار، أما من تركها تكاسلاً وهو يقرُّ بفرضيتها فهو على خطر عظيم، فإن مات على التوحيد فهو في مشيئة الله.

عباد الله! من أراد أن يكون من المفلحين في الدنيا والآخرة فعليه أن يحافظ على الصلاة:

١ ـ لأن الله أمره بالمحافظة عليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٢ ـ لأن الصلاة تجارة رابحة: يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، يا من انشغلوا بالتجارة عن الصلاة في المسجد في جماعة، إن الصلاة هي التجارة الرابحة حقاً.

٣ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأن الصلاة تمحو الذنوب والخطايا: يقول ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(١).

٤ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٥ ـ حافظوا على الصلاة، لأن الصلاة سبب للتمكين في الأرض، وسبب لنصر الأمة، وأتعجب لأمة تُريدُ نصر الله وقد ضيعت الصلاة!! اذهبوا إلى دور السينما فستجدوا الذين يخرجون منها أكثر من الذين يخرجون من الصلاة! اذهبوا إلى مناطق اللهو واللعب فستجدوا الذين يعكفون فيها على شهواتهم أكثر من الذين يحافظون على الصلاة! ثم بعد ذلك تجدهم هم أنفسهم في المجالس يقولون: متى نصر الله؟!

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

أمة تركت الصلاة لا خير فيها، أمة تركت صلاة الجماعة لا نصر لها، يقول ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١) ويقول ربنا جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

٦ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأنها سبب لنزول الرحمة على العباد: يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، أما إن تركوا الصلاة والزكاة، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الله ﷻ سيحرمهم رحمته.

٧ ـ حافظوا على الصلاة فهي سبب لزيادة الرزق، يقول الله ﷻ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

فيا من تركوا الصلاة من أجل جمع الأموال وقالوا السعي على الرزق عبادة! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، لو كان سعيك على الرزق عبادة لصدقت في ذلك ولعبدت الله الذي يرزقك لأنك إذا صليت رزقك الله بأهون الأسباب الشرعية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فإذا كان يا أمة الإسلام ترك الصلاة تقوى لله فاتركوا الصلاة واسعوا على رزق الأولاد، وإن كانت المحافظة على الصلاة من تقوى الله ﷻ فحافظوا على الصلاة يرزقكم الله.

واعلموا عباد الله أن رسولنا ﷺ أخبرنا أن الله ﷻ أنزل المال ورزقنا المال لا لنضيع الصلاة، ولكن لنقيم الصلاة ونؤتي الزكاة. قال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١٨٧)، هق: (٣/ ٣٤٥)، حل: (٥/ ٢٦)، [«ص.غ.هـ» (٦)].

«**إن الله ﷻ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[(١)].

٨ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأنها تجمعكم مع رسول الله في الجنة: عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال ﷺ: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[(٢)]، أي: عليك بكثرة الصلاة.

٩ ـ حافظوا على الصلاة لتكونوا من أهل الجنة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١]، وقال ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح**»[(٣)].

ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[(٤)].

عباد الله! أول ما نُسأَل عنه يوم القيامة أمام الله الصلاة؛ فإن صلحت فقد أفلحنا وأنجحنا.

وهنا سؤال مهم:

ما هي هذه الصلاة التي من صلاها أفلح وأنجح في الدنيا والآخرة؟

هل هي التي نراها من كثير من الناس ينقرونها نقر الدِّيكة؟

هل هي صلاة الذين لا يصلون إلا في يوم الجمعة؟

هل هي صلاة الذين تركوا صلاة الجماعة؟ هل هي صلاة الذين يصلون بوضوء عجيب؟

هل هي تلك الصلاة التي يصليها أحدهم بسرعة متناهية؟

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٢١٨)، طب: (٣/٢٤٧)، طس: (٣/٥١)، هب: (٧/ ٢٧٢)، [«ص.ج» (١٧٨١)].

(٢) **صحيح**: م: (٤٨٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩).

(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ (٣٢٥١)، حم: (٥/٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ش: (٧/٢٥٧)، ك: (٤/١٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٦١٦)].

لا يا عباد الله، الصلاة التي تجعلك من المفلحين، والتي يجبُ عليك أن تتعلمها هي:

أولاً: ما كنت صليتها ابتغاء مرضاة الله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»(١).

أما الذين يصلون حتى تُصورهم الكاميرات وكأنهم يقولون للناس: ها نحن نصلي، ها نحن نحافظ على الصلاة، ولا يبتغون إلا وجه الناس ولا يريدون بذلك وجه الله بل وربما صلوا بدون وضوء، فهؤلاء قد اتصفوا بصفات المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، فهؤلاء مع أنهم صلوا إلَّا أنهم في الدرك الأسفل من النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ثانياً: هي الصلاة التي تصليها بوضوء صحيح، وبخشوع لله ﷻ. يقول ﷺ: «**ما من امرىءٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، ورُكوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يَأْتِ كبيرة وذلك الدهر كله**»(٢). أما إن صلاها بوضوء باطل فصلاته باطلة، يقول ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له**»(٣)، وكم من الناس يصلون بوضوء عجيب!

فعن عمر بن الخطاب: (أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال: «**ٱرجع فأحسن وضوءك**» فرجع ثم صلى)(٤)، فكم من الناس من عَرَضَ وضوءه على العلماء حتى يعلم أنه يتوضأ وضوءاً

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (١٩٠٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٢٨).

(٣) **صحيح**: د: (١٠١)، هـ: (٣٩٨)، حم: (٢/٤١٨)، ك: (١/٢٤٥)، قط: (١/٧٢)، طب: (٦/١٢١)، ع: (١١/٢٩٣)، ش: (١/١٢)، [«ص.ج» (٧٥١٤)].

(٤) **صحيح**: م: (٢٤٣).

صحيحاً؟ هل تعلمتم اليوم من المفسديون كيف تصلون؟ أم هل تعلمتم من المفسديون يوماً كيف تتوضئون؟ هل تعلمتم يوماً من المفسديون أحكام الحيض والنفاس؟ لا، إذاً لا بد أن تأتي إلى المسجد مهما كنت وزيراً أو حاكماً، أو كبيراً أو صغيراً، وعليك أن تتواضع لله ﷻ وتتعلم لتعبد الله على علم.

ثالثاً: أن تكون أديت الصلاة بالكيفية التي أداها الرسول ﷺ لقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

رابعاً: أن تصلى الصلاة بطمأنينة في ركوعها وسجودها وقيامها؛ لأن الرسول ﷺ قال للرجل الذي أسرع في صلاته: «**ارجع فصلِ فإنك لم تصل**»(٢).

خامساً: أن تصلى الصلاة في وقتها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، فيا من يؤخرون الصلاة عن وقتها اعلموا عباد الله كما أنه لا يجوز لك أن تصلي الصلاة قبل دخول وقتها، فلا يجوز لك أن تؤخر الصلاة حتى يخرج وقتها إلا من عذر شرعي. فلما سُئل ﷺ عن أفضل الأعمال قال: «**الصلاة لوقتها...**»(٣).

سادساً: الصلاة التي تصليها في المسجد في جماعة، فصلاة الجماعة واجبة والمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي آثِمٌ مرتكب لكبيرة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣] وقال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأتِهِ فلا صلاة له إلا من عذر**»(٤)، والتخلف عن صلاة الجماعة من شيم المنافقين قال ﷺ: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٧٢٤)، م: (٣٩٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٩٦)، م: (٨٥).
(٤) **صحيح**: هـ: (٧٩٣)، حب: (٢٠٦٤)، ك: (١/ ٣٧٣)، قط: (١/ ٤٢٠)، طب: (١١/ ٤٤٦)، هق: (٣/ ١٧٤)، [«ص.غ.هـ» (٤٢٦)].

لأتوهما ولو حبواً»[(١)].

ويقول ابن مسعود: (من سرَّهُ أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنه ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف)[(٢)].

فاحذروا يا من ضيعتم صلاة الجماعة، واحذروا يا من ضيعتم صلاة الفجر، كيف تستقبلون الله ﷻ بيوم ضيعتم فيه صلاة الجماعة؟!

عباد الله! الصلاة هي أول شيء نُسْأَل عنه يوم القيامة أمام الجبار، فاستعدوا لهذا السؤال وأعدوا له جواباً.

واعلموا يا عباد الله أن من صلحت صلاته فقد أفلح وأنجح، وأن من فسدت صلاته فقد خاب وخسر، وذلك هو الخسران المبين.

والله ﷻ يحذر الذين انشغلوا بالدنيا عن الصلاة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

وحذر ربنا جل وعلا الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥].

عباد الله! حافظوا على الصلاة استجابةً لأَمر الله ولأمر رسوله ﷺ.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يجعلني وإياكم من المحافظين على الصلاة

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٦)، م: (٦٥١). (٢) **صحيح**: م: (٦٥٤).